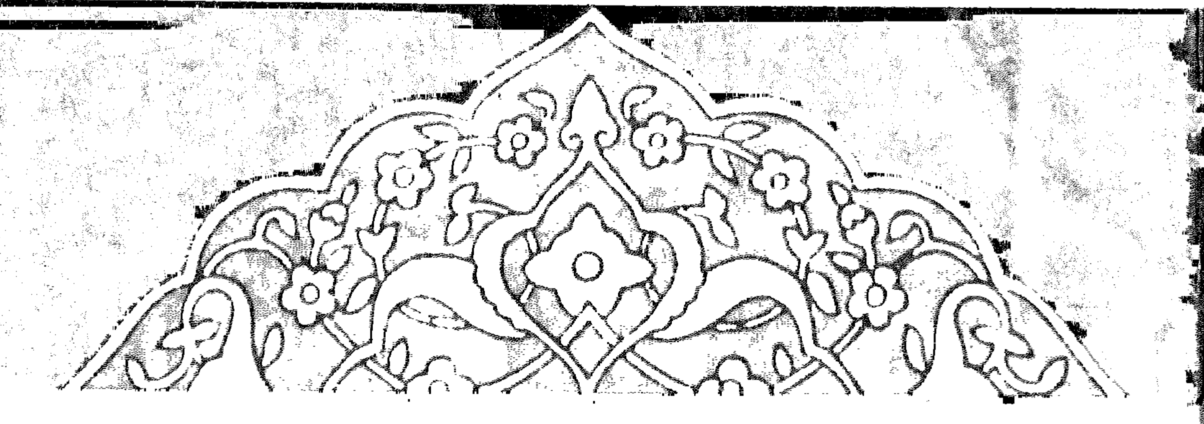
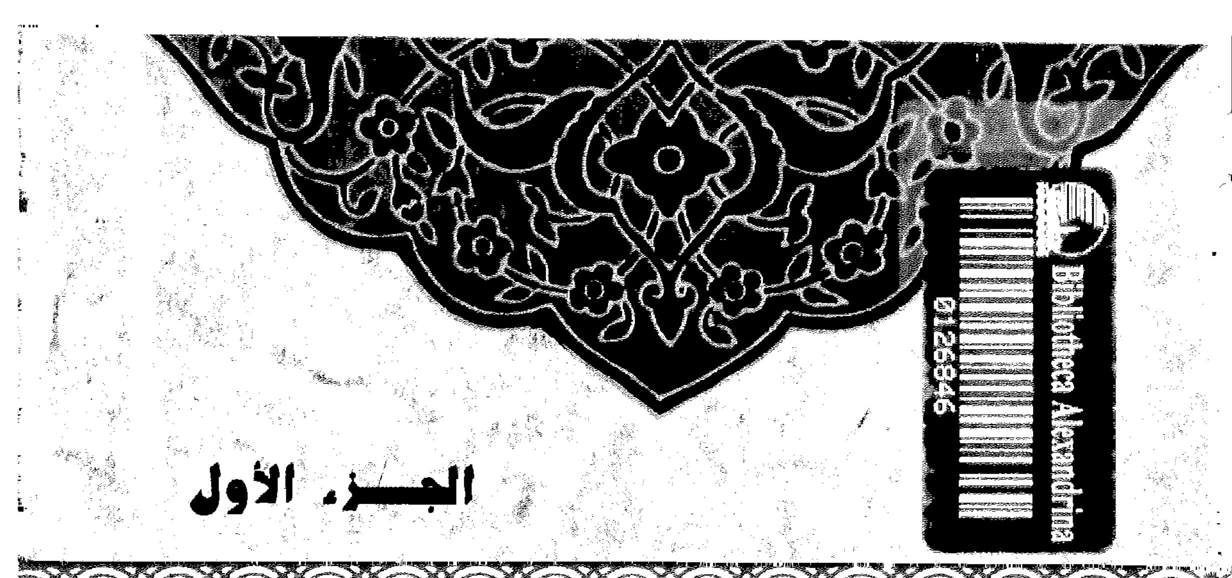
كتاب الجمهورية



تلبيس إبليس

لابن الجوزى البغدادى



الجزء الأول

كتاب الجمهورية

يصدر عن

دار التحرير للطبع والنشر

رئيس مجلس الإدارة

سمير رجب

المشرف على التحرير

فاروق فهمى

امتياز الاعلانات :

شركة الاعلانات المصرية

٥ شارع نجيب الريحانى

ت : ٧٤٤١٦٦

التوزيع :

شركة التوزيع المتحدة

٢١ شارع قصر النيل

ت : ٣٩٢٣٧٤٩

المراسلات :

كتاب الجمهورية ٢٤ شارع

زكريا أحمد ت : ٥٧٤٩٩٩٦

٥٧٤٩٠٩٠

كتاب الجمهورية

تلبيس إبليس

للحافظ جمال الدين بن الجوزي

الجــــزء الأول

التنفيذ الداخلى : صفوت عكاشة

مقدمة

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب . وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب . وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب(١) . أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب . وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص فى نيته غير مرتاب . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ، وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب . فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب . وبين للناس مانزل إليهم ، وأوضح مشكلات الكتاب . وتركهم على الحجة البيضاء لاشَرَبَ فيها (٢) ولا سَراب . فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب . وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب . وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد ، فان أعظم النعم على الإنسان العقل ، لانه الآلة فى معرفة الإله سبحانه والسبب الذى يتوصل به إلى تصديق الرسل ، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بُعِثت الرسُل وأنزلت الكتبُ ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسى بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام . فكان يعلمهم عن وحى الله عزوجل فكانوا على الصواب إلى أن انفرد

---

(١) عاب عيباً فهو عائب والاسم عاب كما هنا .

(٢) الشَرَبُ بفتحتين الوكز والسراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء ولا ماء يشير المصنف إلى ماروواه ابن ماجه فى سننه عن أبى الدرداء مطولا من قوله صلى الله عليه وسلم «وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» .

قابيل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام واختلفوا فى العقائد والأفعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلا إلى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين .

﴿فصل﴾ واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى ، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف . فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً ، وبالدواء سما ، وبالسبيل الواضح جرداً(١) مضلا ، ومازال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام ، ويحرمون السائبة(٢) والبحيرة والوصيلة والحام ، ويرون وأد البنات ، ويمنعونهن الميراث ، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم إبليس(٣)

---

(١) يقال مكان جرد أى لانبات فيه ، ويقال أيضاً : جرذ بالمعجمه .

(٢) هى الناقة المنذورة تسيب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء . والبحيرة بنتها تبحر أذنها أى تشق وتخلى مع أمها والوصيلة هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين أى اثنين ، فإن ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم ، وإن ولدت جدياً وعناقا قالوا وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها ، ولاتشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فاذا قضاه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل .

(٣) اعلم أن الشرع جاء هادماً لهذه العادات القبيحة محذراً من كل سوء . ناهياً عن كل شرك ، محيياً فى كل جيل ، فاعتنقه الكثير ودخله الناس أزواجاً وأفذاذاً وانتشر فى جميع الأرض فى أقرب وقت انتشاراً لم يعهد له نظير من قبل ومن بعد . واستمر على ذلك والناس تدخله طوعاً لا كرهاً إلى أن دخل فيه أفراد من اليهود والمجوس وانتسبوا إليه ظاهراً وهم فى الواقع يعملون على هدمه وتقويض دعائمه . فأخذوا يوقدون نار الفتنة بين أهله ويدخلون فيه أشياء من التى كان ينهى عنها ويحسنونها لعامة الناس حتى شوهوا معالمه وأخذها من جاء بعدهم ممن لايميزون بين الصحيح والسقيم والحق والباطل ديناً يتقربون بها إلى ربهم والله تعالى أعز شأنا من أن يتعبد الناس بمثل هذه الضلالات . ومن ذلك نذر الغنم والبقر وغيرها

فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ ، فرفع المقابح ، وشرع المصالح . فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره . فلما انسلخ نهار وجودهم . أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الأهواء تنشىء بدعاً ، وتضيق سبيلا مازال متسعاً ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل . فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح

فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده . فان فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه . فى الصحيحين من حديث حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر . مخافة أن يدركنى وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن على البزاز قال أخبرنا أحمد بن على الطريثيثى قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبرى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال ثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكا منى . فقيل وكيف ؟ فقال : والله إنه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلى فاذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها .

﴿فصل﴾ وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنة ، ومخوفاً من محنه ؛ وكاشفاً عن مستوره ، وفاضحاً له فى خفى غروره . والله المعين بجوده ، كل صادق فى مقصوده .

= للأولياء يتركونها ترعى حيث شاءت لا يمسها أحد بسوء ظناً منه بل اعتقاداً أنها محسوبة لذلك الولى مكلوءة بعينه أنى ذهبت . فلو منعها من زرعه لا تنتقم منه ذلك الولى بماشاء وهذا بعينه ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ، قال الله تعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون » . اللهم وفق علماءنا وأمراءنا إلى رد هذه العقائد الفاسدة التى شوهت وجه الدين وجعلت عليه غشاء من ظلماتها حجبت نوره الساطع الذى هو هدى ورحمة وبشرى لقوم يؤمنون .

وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجموعها تلبيسه ، ويتبين للفطن بفهمها تدليسه ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليسه . والله موفق فيما قصدت ، وملهمي للصواب فيما أردت .



ذكر تراجم الأبواب



الباب الأول

الأمر بلزوم السنة والجماعة



أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التيمى نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى عن ابن إسحاق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال «من أراد منكم بحبوحة الجنة(١) فليلزم الجماعة، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة، قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا، فقال «من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى بن على المدينى نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد بن صاعد ثنا سعيد بن يحيى الأموى ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن زر عن عمر بن الخطاب. قال قال رسول الله ﷺ: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» حدثنا عبد الأول بن عيسى نا أبو القصار بن يحيى ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن إسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر، قال قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسكن بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسى نا عبد الرحمن بن أبى شريح ثنا ابن صاعد ثنا إبراهيم بن سعد الجوهرى ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبه عن زياد بن علاقة عن عرفجة، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: يد الله على الجماعة، والشيطان مع من يخالف الجماعة، أخبرنا محمد بن عمر الأرموى والحسين بن على المقرى نا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الدارقطنى ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول حدثنى أبى

(١) بحبوبة الدار وسطها يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام.

ثنا محمد بن يعلى ثنا سليمان العامرى عن الشيبانى عن زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله ، قال : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال هذا سبيل الله مستقيما . قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ (١) » وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد . حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبى البحترى بن عبيد ابن سليمان عن أبيه عن أبى ذر عن النبى ﷺ ، أنه قال : اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة . فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتى إلا على الهدى .

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخى قال أخبرنا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العروجى قالا أخبرنا الجراحى قال أخبرنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقى عن عبد الله ابن يزيد عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتى كما أتى على بنى إسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية ، لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وإن بنى إسرائيل تفرقت(٢) على ثنتين وسبعين ملة

(١) سورة الأنعام آية (١٥٣)

(٢) قال أبو منصور البغدادى للحديث الوارد فى افتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبى هريرة ، وأبى الدرداء ، وجابر ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبى أمامة وغيرهم .

وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابى . قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لايعرف إلا من هذا الوجه . وروى أبو داود فى سننه من حديث معاوية بن أبى سفيان ، أنه قام فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى(١) بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .

أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسى نا يوسف بن يعقوب بن إسحاق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ، قال : الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أحمد بن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب ، قال : عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار . وإن اقتصاداً فى سبيل وسنة ، خير من اجتهاد فى إخلاف . أخبرنا سعد الله ابن على نا الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرقى ثنا عثمان بن أيوب نا إسحاق بن إبراهيم المروزى . قال ثنا أبو إسحاق الأقرع قال سمعت الحسن بن أبى جعفر يذكر عن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم قال

---

(١) بحذف إحدى التاءين أى تدخل وتسرى تلك الأهواء أى البدع والكلب بفتح الكاف واللام داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب ، وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعض أحداً إلا كلب . نسأل الله السلامة .

نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الأصبهانى ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى قال أنبأنا سفيان بن عيينة ، قال : سمعت عاصما الأحول يحدث عن أبي العالية ، قال : عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا - قال عاصم فحدثت به الحسن ، فقال : قد نصحك والله وصدقك . أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا

محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن عمرو نا أبو إسحاق الفزارى . قال قال الأوزاعى : اصبر نفسك على السنة ؛ وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فانه يسعك ما وسعهم . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروى ثنا عبد الله بن عروة ، قال : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعى ، قال : رأيت رب العزة فى المنام ، فقال لى ياعبد الرحمن ، أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقلت : بفضلك يارب . وقلت يارب أمتى على الإسلام ، فقال : وعلى السنة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا أحمد ابن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا إبراهيم بن أبي عبد الله ثنا محمد بن إسحاق سمعت أبا همام السكونى يقول : حدثنى أبي قال سمعت سفيان يقول : لايقبل قول إلا بعمل ولايستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولايستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة . أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا محمد بن على ثنا عمرو ابن عبدويه ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن بن عفان قال ثنا يوسف بن أسباط ، قال قال سفيان : يايوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة . أخبرنا سعد الله بن على نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى نا محمد بن زياد البلدى ثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد قال أيوب : إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائى . وبه قال الطبرى

وأخبرنا الحسين بن أحمد ثنا عبد الله اليزدجردى ثنا عبد الله بن وهب ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب . قال قال : إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة .

قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمدبن حنون ثناجعفر بن محمد بن نضير ثنا

أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ثنا أبو عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب . قال : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك ، أن يؤاخى صاحب سنة يحمله عليها . قال الطبرى وأخبرنا عيسى بن على ثنا البغوى ثنا محمد بن هارون ثنا سعيد بن شبيب ، قال : سمعت يوسف بن أسباط ، يقول : كان أبي قدريا وأخوالى روافض فأنقذنى الله بسفيان . قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص نا عبد الله بن عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : سمعت معتمر بن سليمان يقول : دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال مات على السنة ؟ قلت : نعم؟! قال تحزن عليه : قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمدبن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عبدة ثنا عبدالله بن المبارك عن سفيان الثوري ، قال : استوصوا بأهل السنة خيراً ، فإنهم غرباء . أخبرنا أبو منصور ابن حيرون نا إسماعيل بن أبي الفضل الإسماعيلى نا حمزة بن يوسف السهمى نا عبد الله بن على الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر بن عبد الواحد قال : قال لنا ابن أبي بكر بن عياش : السنة فى الإسلام ، أعز من الإسلام فى سائر الأديان .

سمعت أباعبد الله الحسين بن على المقرى يقول : سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندرانى يقول : سمعت أبا منصور محمد الأزدى يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول : سمعت الحسن بن محمد الطبرى يقول : سمعت محمد بن المغيرة يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : سمعت الشافعي يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنى رأيت

رجلا من أصحاب النبي ﷺ : أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد أبو نعيم أخبرني جعفر الخلدي في كتابه ، قال سمعت الجنيد يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن محمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا علي بن عبد الله بن جهضم نا محمد

ابن حابان ، قال : سمعت حامد بن إبراهيم يقول قال الجنيد بن محمد : الطريق إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى ، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسنته . كما قال الله عز وجل : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (١)



(١) سورة الأحزاب آية (٢١) .

الباب الثاني

في ذم البدع والمبتدعين



أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال : أخبرني أبي ثنا يزيد عن إبراهيم بن سعد أخبرني أبي وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي وأبو سعد البغدادي قالا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان نا محمد بن إبراهيم الحروزي ثنا لوين ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من أحدث في أمرنا ماليس فيه فهو رد . أخبرنا موهوب بن أحمد نا علي بن أحمد البسري ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوي ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي وإسحاق بن إبراهيم المروزي قالا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد . قال البغوي وحدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها . أن النبي ﷺ قال : من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد - أخرجاه في الصحيحين . أخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسن ابن علي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ ، أنه قال : من رغب عن سنتي فليس مني - انفرد بإخراجه البخاري . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله

ابن أحمد حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر . قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين إذا ماأتوك لتحملهم ، قلت لاأجد ماأحملكم عليه » . فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين . فقال عرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع

بالطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعيش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل وعن ابن مسعود ، قال قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دونى ، فأقول يارب أصحابى فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ـ أخرجاه فى الصحيحين . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد ابن محمد نا أبو نعيم ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحي ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحي بن أبي عمرو الشيبانى عن عبد الله ابن محرز قال : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة . أخبرنا إسماعيل ابن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال : حدثنى أبو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر . قال : كان طاوس جالساً وعنده ابنه . فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شيء فأدخل طاوس أصبعيه فى أذنيه . وقال : يابنى أدخل أصبعك فى أذنيك حتى لاتسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف . ثم قال : أى بنى أسدد ـ فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر . قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الضبي . قال : كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم . فبلغ إبراهيم أنه قد دخل فى الإرجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد . قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدانى ، قال : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم فى القدر ـ يعنى إبراهيم بن أبي يحي ، فقال سفيان : عرفوا الناس أمره وسلوا الله لى العافية . قال حنبل وحدثنا سعدويه ثنا صالح المرى . قال : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن نقوم . أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا

أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع . قال : قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة ؟ قال : لا ولا نصف كلمة . قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحي بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله عز وجل بعداً . أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز نا الطريثيثي نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن علي نا البغوي نا أبو سعيد الأشج نا يحي ابن اليمان قال سمعت سفيان الثوري قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها(١) أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن علي ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل بن إسماعيل . قال : مات عبد العزيز بن أبي داود وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري . فقال الناس : جاء الثوري ـ فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لأنه كان يرى بالإرجاء . أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري نا عبد الله ابن أحمد السمرقندي نا أحمد بن ثابت نا أحمد بن روح النهرواني ثنا طلحة ابن أحمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد بن أبي مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول : سمعت شعيب بن حرب يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة . أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصفهاني ثنا إسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريري . قال : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديداً فقيل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت . قال : لا ولكني مررت على قدري فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحي بن علي قالا : أخبرنا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثني أبي ثنا محمد بن بكر قال

---

(١) أثاب الرجل وثاب رجع .

سمعت فضيل بن عياض يقول : من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه . أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن النضر ثنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن على ثنا عبد الصمد . قال سمعت الفضيل يقول : إذا رأيت مبتدعاً فى طريق فخذ فى طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . فقال له الفضيل : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيآته .

قال المصنف : وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وقال محمد بن النضر الحارثى : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه . وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابنى يقول : سمعت على بن عيسى يقول : سمعت محمد بن إسحاق يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال صاحبنا ـ يعنى الليث بن سعد ـ لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته . فقال الشافعى : إنه ما قصر لو رأيته يمشى على الهواء ما قبلته . وعن بشر بن الحارث أنه قال : جاء موت هذا الذى يقال له المريسى(١) وأنا فى السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً ـ الحمد لله الذى أماته . هكذا قولوا .

---

(١) « المريسى » هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان فى ترجمته اشتغل بالكلام وجدد القول بخلق القرآن وحكى عنه فى ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئا وإليه تنسب الطائفة المريسيه من المرجئة وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة ؛ عليه والمريسى بفتح الميم وكسر الراء نسبة إلى ـ

قال المصنف :: حدثت عن أبى بكر الخلال عن المروزى عن محمد بن سهل البخارى قال : كنا عند الفريانى فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامى فى أهل البدع أحب إلى من عبادة ستين سنة .

﴿فصل﴾ فان قال قائل قد مدحت السنة وذممت البدعة فما السنة وما البدعة فانا نرى أن كل مبتدع فى زعمنا يزعم أنه من أهل السنة (١) (فالجواب) أن

ـ مريس قيل قرية بمصر وقيل جنس من السودان وقال بعض المحققين إن المريسى كان يسكن فى بغداد بدرب المريس فنسب إليه انتهى ببعض تصرف ، ومعنى كلام بشر بن الحارث أن الخبر بموت المريسى أتاه وهو فى السوق فلو لم يكن فى السوق لسجد شكراً لله تعالى على موته والسوق غير موضع سجود لورود النهى عن الصلاة فى الأسواق والسجود بعض الصلاة وهذه عادة السلف الصالح رضى الله عنهم .

(تنبيه) فى الأصل « فلولا أنه كان فى موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود الحمد لله » . الخ . وما صححناه فمن لسان الميزان .

(١) اعلم أنه لم يقع خلاف بين الصحابة رضى الله عنهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لوجود نور النبوة بين ظهرانيهم وتأثير المواعظ الحسنة فيهم والحكم البالغة من النبى صلى الله عليه وسلم فلما توفاه الله وقع الخلاف بينهم فأول خلاف كان فى موته صلى الله عليه وسلم فزعم قوم أنه لم يمت بل رفعه الله إليه والثانى فى دفنه عليه الصلاة والسلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة وأهل المدينة دفنه بها . وفى الإمامة فأذعنت الأنصار لسعد بالبيعة وقريش قالت إن الإمامة لاتكون إلا فى قريش وفى فدك (قرية بخيبر) . وتوريث الكلالة ومانعى الزكاة وهكذا وقد أزال هذا الخلاف كله أبو بكر الصديق رضى الله عنه بحجته القوية وعزمه المتين وبرهانه الساطع ولم تؤثر هذه الاختلافات فى الهيئة الاجتماعية والقوة الرابطة لجمعهم واتحادهم إلا أنها فتحت بابا ولجه المبتدعون والزنادقة وأدخلوا الشكوك على بعض الأفراد وسنوا طرقاً مضلة وزخرفوها بأقاويل كاذبة وحجج واهية ودعوا الناس إليها فقيض لهم المولى جل وعز رجالا من أهل الحديث والسنة يدحضون حججهم ويبينون للناس عقائدهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة وينصحون من تبعهم بأدلة قاطعة من الكتاب والسنة وهم الطائفة التى أخبر عنها النبى صلى الله عليه وسلم أنها لاتزال قائمة بأمر الله الحديث ولم تزل قائمة كذلك إلى زمننا هذا إلا أنهم قليلون اللهم وفقنا للعمل بالكتاب والسنة واجعلهما حجة لنا يا رحم الراحمين .

السنة فى اللغة الطريق ، ولا ريب فى أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث : وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه .

والبدعة : عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان . فان ابتدع شىء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل وهو الاتباع . وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، حين قالا له اجمع القرآن : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال أخبرنا على بن الحسين نا ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرنى ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبى سلمة ، أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول : لبيك ذا المعارج . فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ . وأخبرنا محمد بن أبى القاسم بإسناد يرفعه إلى أبى البخترى . قال : أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا . وسبحوا الله كذا وكذا . واحمدوا الله كذا وكذا قال عبد الله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرنى بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع مايقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء ، وكان رجلا حديداً ، فقال : أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالا لتضلن ضلالا بعيداً . أنبأنا أبو بكر ابن أبى طاهر عن أبى محمد الجوهرى عن أبى عمر بن أبى حياة ثنا أحمد ابن معروف ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبدالله الأنصارى ثنا ابن عوف ، قال : كنا عند إبراهيم النخعى فجاء رجل فقال : يا أبا عمران أدع الله أن يشفينى فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك فى وجهه . وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه . وقال

فيه : أخبرنا الحمدان : ابن ناصر . وابن عبد الباقى نا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد بن إبراهيم يقول : سمعت محمد بن ريان يقول : سمعت ذا النون — وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس — فقال : أنا لا أتكلم فى شىء من هذا فان هذا محدث ، سلونى عن شىء فى الصلاة أو الحديث . ورأى ذو النون علىّ خفا أحمر ، فقال : انزع هذا يابنى فانه شهرة ، مالبسه رسول الله ﷺ ، إنما لبس خفين أسودين ساذجين .

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله . قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصلون فى رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر ابن الخطاب على أبىّ بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هذه — لأن صلاة الجماعة مشروعة . وإنما قال الحسن فى القصص : نعمت البدعة ، كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة . لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم . فأما إذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة . وإن كانت مضادة فهى أعظم . فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم . ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون — فى الصحيحين : أخبرنا هبة الله الحسن بن على نا ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى قال ثنا يوسف ثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك انفرد به مسلم . وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ معاوية

وجابر بن عبد الله وقرة أخبرنا الكروخي نا التورجي والأزدي قالا نا الجراح ثنا المحبوبي ثنا الترمذي قال : قال محمد بن إسماعيل ، قال علي بن المديني : أصحاب الحديث .

﴿ فصل ﴾ في بيان انقسام أهل البدع أخبرنا عبد الملك الكروخي أبو عامر الأزدي وأبو بكر التورجي قالا نا الجراحي ثنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة - قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

قال المصنف : وقد ذكرنا هذا الحديث في الباب الذي قبله وفيه : كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يارسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد قال ثني أبي ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ، يهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة . قالوا يارسول الله ، ماتلك الفرقة ؟ قال الجماعة ، قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فإن قيل ، وهل هذه الفرق معروفة ؟ فالجواب ، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق(١) وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء

---

(١) اعلم أن العلماء اختلفوا في أصول هذه الفرق وتعيينها على أقوال : الأول أن أصولها أربعة : وهي الخوارج والقدرية والروافض والمرجئة ، ثم تشعبت كل فرقة إلى ثماني عشرة فرقة والثالثة والسبعون الناجية : الثاني أنها ثمانية : المعتزلة والخوارج والمرجئة ، والنجارية ، والجبرية ، والمشبهة والشيعة والناجية فافترقت المعتزلة عشرين فرقة ، والخوارج عشرين أيضاً ، والمرجئة خمساً ، والنجارية ثلاثا ، والجبرية واحدة وكذلك ، المشبهة والشيعة ثنتين وعشرين فرقة ، والقول الثالث ماذهب إليه المصنف

تلك الفرق ومذاهبها ، وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية(١) والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية . وقد قال بعض أهل العلم : أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست ، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتى عشرة فرقة ، فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وانقسمت الحرورية ، اثنتى عشرة فرقة : فأولهم الأزرقية(٢) قالوا : لانعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلامن دان بقولهم والأباضية(٣) قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ، ومن أعرض عنه فهو منافق والثعلبية(٤) قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر ، والحازمية(٥) قالوا : ماندرى ما الإيمان ، والخلق كلهم معذورن ، والخلفية(٦) زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر . والمكرمية(٧) قالوا : ليس لأحد أن يمس أحداً لأنه لايعرف الطاهر من النجس ، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل ، والكنزية قالوا : لاينبغى لأحد أن يعطى ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه فى الأرض حتى يظهر أهل الحق ، والشمراخية قالوا : لابأس بمس النساء الأجانب لأنهن

= من أنها ست ، ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالاعتصام والمواقف . وهذا التقسيم بحسب الظن والتكلف فى مطابقة ماذكر للحديث الصحيح ، إذ ليس هناك دليل شرعى يفيد ذلك ولادل العقل على انحصار ماذكر فى ذلك العدد من غير زيادة ولانقصان ، وبذلك تعلم مافى كلام المصنف من المخالفة لغيره فى عد الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد فى كتاب (١) هم الذين خرجوا على على وانحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفاً وعبد الله بن كوا حينئذ زعيمهم (٢) نسبة إلى أبى راشد نافع بن الأزرق ولم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولاأشد شوكة منهم وبدعهم ثمانية (٣) نسبة إلى عبد الله بن أباض . (٤) نسبة إلى ثعلبة بن مشكان (٥) وهم أصحاب حازم ابن على (٦) وهم أصحاب خلف الخارجى الذى قاتل حمزة الخارجى .

(٧) وهم أتباع مكرم بن عبد الله العجلى ويقول تارك الصلاة كافر لامن أجل ترك الصلاة ، ولكن لجهله بالله تعالى . وطرد هذا فى كل كبيرة يرتكبها الإنسان .

رياحين ، والأخنسية(١) قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر والحكمية قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر ، والمعتزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين ، والميمونية(٢) قالوا : لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

(وانقسمت القدرية) اثنتى عشرة فرقة : الأحمرية وهى التى زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم ، والثنوية وهى التى زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس ، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية ، والكيسانية(٣) هم الذين قالوا لاندرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون ، والشيطانية(٤) قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً ، والشريكية قالوا إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر ، والوهمية قالوا : ليس لأفعـــال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات ، والراوندية قالوا : كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً ، والبترية(٥) زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته ، والناكثية زعموا أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ فلا إثم عليه والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها ، والنظامية تبعوا إبراهيم النظام فى قوله من زعم أن الله شىء فهو كافر .

وانقسمت الجهمية(٦) اثنتى عشرة فرقة : المعطلة زعموا أن كل مايقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق ، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر ، والمريسية(٧)

---

(١) أتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس (٢) وهم أتباع ميمون بن خالد يجيزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الأخوة (٣) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقيل تلميـــذ ابن الحنفية (٤) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاق (٥) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حى وكثير النوى الملقب بالأبتر .

(٦) هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازنى بمرو .

(٧) هم أتباع بشر المريسى

قالوا : أكثر صفات الله مخلوقة ، والملتزمة جعلوا البارى سبحانه وتعالى فى كل مكان ، والواردية قالوا : لايدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً ، الزنادقة قالوا : ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربا لأن الإثبات لايكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله ومالا يدرك ، لايثبت والحرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقاً أبداً لايجد حر النار . والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق ، والفانية زعموا أن الجنة والنار تفنيان ، ومنهم من قال إنهما لم تخلقا والمغيرية(١) جحدوا الرسل فقالوا إنهم حكام ، والواقفية قالوا : لانقول إن القرآن مخلوق ولاغير مخلوق ، والقبرية ينكرون عذاب القبر والشفاعة ، واللفظية قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق .

(وانقسمت المرجئة) اثنتى عشرة فرقة : التاركية قالوا ليس لله عزوجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ماشاء ، والسائبية قالوا : إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ماشاءوا ، والراجية قالوا : لانسمى الطائع طائعاً ولاالعاصى عاصياً لأنا لاندرى ماله عند الله ، والشاكية قالوا : إن الطاعات ليست من الإيمان ، والبيهسية(٢) قالوا : الإيمان علم ومن لايعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر . والمنقوصية قالوا الإيمان لايزيد ولاينقص . والمستثنية نفوا الاستثناء فى الإيمان . والمشبهة يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى . والحشوية جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض . والظاهرية(٣) وهم الذين نفوا القياس ، والبدعية أول من ابتدع الأحداث فى هذه الأمة .

(وانقسمت الرافضة) اثنتى عشرة فرقة العلوية قالوا : إن الرسالة كانت إلى على وإن جبريل أخطأ والأمرية قالوا : إن علياً شريك محمد ﷺ فى أمره ، والشيعة قالوا : إن علياً رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ ووليه

---

(١) وفى نسخة العبدية (٢) نسبة إلى بيهس بن الهيصم

(٣) أصحاب الإمام المجتهد داود بن على الظاهرى ولد بالكوفة سنة مائتين ونشأ ببغداد وتوفى بها سنة سبعين ومائتين وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، ولعل عد هذه من المرجئة سبق قلم حمانا الله من الزلل .

من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره ، والإسحاقية قالوا : إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي ، والناووسية قالوا : إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر ، والإمامية قالوا لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله ، والزيدية قالوا : إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم ، والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره ، والمتناسخة قالوا : إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ، ومن كان مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه ، والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم ، واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأباموسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم ، والمتربصة تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عصر رجلا ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدى هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلا آخر .

(وانقسمت الجبرية) اثنتى عشرة فرقة فمنهم : المضطربة قالوا لافعل للآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل ، والأفعالية قالوا : لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل ، والمفروغية قالوا كل الأشياء قد خلقت والآن لايخلق شيء ، والنجارية (١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لاعلى فعلهم ، والمتانية قالوا : عليك بما خطر بقلبك فافعل ماتوسمت به الخير ، والكسبية قالوا : لايكسب العبد ثوابا ولا عقابا ، والسابقية قالوا : من شاء فليعمل ومن شاء لايعمل فإن السعيد لاتضره ذنوبه والشقى لاينفعه بره ، والحبية قالوا : من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها ، والخوفية قالوا إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لايخاف حبيبه والفكرية ، قالوا : إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة ، والخسية قالوا : الدنيا بين العباد سواء لاتفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم ، والمعية قالوا : منا الفعل ولنا الاستطاعة .

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الرى وحوالها على مذهبه .

الباب الثالث

في التحذير من فتن إبليس ومكايده



قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ماينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به مايؤذيه . وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف فى اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم . وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى : (لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [1]) وقال تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ [2]) وقال تعالى : (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا [3]) وقال : (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ [4]) وقال تعالى : (إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ [5]) وقال : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [6]) وقال تعالى : (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ [7]) وقال تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ [8]) .

(فصل) قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التلبيس أول ماالتبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال (خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ [9]) ثم أردف

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٨ ، ١٦٩)
(٢) سورة البقرة آية (٢٦٨)
(٣) سورة النساء آية (٦٠)
(٤) سورة المائدة آية (٩١)
(٥) سورة القصص آية (١٥)
(٦) سورة فاطر آية (٦)
(٧) سورة فاطر آية (٥)
(٨) سورة يس آية (٦٠)
(٩) سورة الاعراف آية (١٢)

ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال : (قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ)(١)
والمعنى أخبرنى لم كرمته على ، غرر ذلك الاعتراض أن الذى فعلته ليس بحكمة
ثم أتبع ذلك بالكبر فقال (أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ)(٢) . ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه
التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب .

فتى سول للإنسان أمراً فينبغى أن يحذرمنه أشد الحذر وليقل له حين أمره
إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى . وكيف يتضح صواب
النصح للغير لمن لاينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما فى لقولك
منفذ فلايبق إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى
بيت الفكر فى عواقب الذنب لعـــل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم
عسكر الهوى والنفس .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا
الحسين بن إسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنى المغيرة عن مطرف
ابن الشخير عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ ياأيها الناس إن الله
تعالى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم مما علمنى فى يومى هذا إن كل مال نحلته عبدى
فهو له حلال ، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن
دينهم ، وأمرتهم أن لايشركوا بى مالم أنزل به سلطانا ، وإن الله تعالى نظر إلى
أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب .

أخبرنا ابن الحصين قال : أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله
ابن أحمد ثنى أبى ثنا يحيى بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض
ابن حمار . أن النبى ﷺ خطب ذات يوم فقال فى خطبته : إن ربى ـ إلى آخر
الحديث المتقدم .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد

---

(١) سورة الأسراء آية (٦٢)

(٢) سورة الأعراف آية (١٢)

ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئاً ، قال ثم يجيء أحدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال فيدنيه منه أوقال فيلتزمه ويقول نعم أنت . وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال : إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن فى التحريش(١) بينهم قال المصنف : انفرد به البخارى والذى قبله مسلم وفى لفظ حديثه قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب .

أنبأنا إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبى عمارة ثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه ، قال إن الشيطان واضع خطمه(٢) على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس . وإن نسى الله التقم قلبه .

أخبرنا محمد بن أبى منصور نا عبدالقادر نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا . قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريرى ثنا سويد القناوى عن قتادة رضى الله عنه قال : إن لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه(٣) أربعين سنة فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه .

---

(١) أى يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن .

(٢) الخطم وزان فلس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الأنف والفم فاستعير للشيطان (٣) أى يتركه بدون عمل ليقوى .

قال سيار : وحدثنا جعفر ثنا ثابت البنانى رضى الله عنه قال : بلغنا أن إبليس ظهر ليحي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء ، فقال يحي : يا إبليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك ، قال : هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم ، قال : فهل لى فيها من شيء ، قال : ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر ، قال : فهل غير ذلك قال لا والله قال لله علىّ أن لا أملأ بطنى من طعام أبداً ، قال إبليس : ولله علىّ أن لا أنصح مسلماً أبداً . قال عبد الله ابن أحمد ثنا أبى ثنا وكيع ثنا الأعمش عن خيثمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه . قال : إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فزدها طولا .

أنبأ إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن عيينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبى ﷺ يقول : كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها ـ ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها ، فقال : ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان . فقال : أنا الذى ضربتها وخنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك فى هذا فأطعنى تنج ، اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين ، فهو الذى قال عز وجل « كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ »[1] وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنه : أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها . قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل . وكان ثقة

(١) سورة الحشر آية (١٦)

فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا (١) من غزاتهم ، فأبى ذلك ونعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى ، قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فى جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه فى بيتها ، فلبث على ذلك زمانا ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع إليها من فوق صومعته ، قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبثا زماناً يتحدثان . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها ، فلم يزل به حتى فعل ، قال فلبثا زماناً . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها ، وقال له : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبثا على ذلك حيناً . ثم جاءه إبليس ، فقال : لو دخلت

(١) وفى نسخة « يقفلوا » .

البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته ، قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها فلم يزل به إبليس يحسنها فى عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها ، فولدت له غلاما فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه ، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم . فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال : لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً ، وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك ، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى ، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان فأنظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف

لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فان أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه ، قال : فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ، قال : ففيه نزلت هذه الآية (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ - إلى قوله - جزاء الظالمين)(١) وقد تقدم ذكرها .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجرى ثنا عبد الله بن محمد العطشى ثنا إبراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنى الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشى عن وهب بن منبه رضى الله عنه ، قال : كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فأتاه متشبها بالمسيح . فناداه : أيها الراهب اشرف على أكلمك ، قال : انطلق لشأنك فلست أرد مامضى من عمرى فقال : اشرف على فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة ، ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه .

أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشران نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشى ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبد الله رضى الله عنه عن أبيه قال : لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك ، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام اخرج ياعدو الله ، فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لا حاجة لك إلى الثلاث ، مره يحدثك بالاثنتين

---

(١) سورة الحشر آية (١٦ ، ١٧)

فقال بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان : الحسد(١) والحرص(٢) فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة . قال ولقى إبليس موسى عليه السلام ، فقال : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى عزوجل أن يتوب على ، فدعا موسى ربه فقيل ياموسى قد قضيت حاجتك ، فلقى موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً ، ثم قال إبليس : ياموسى إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن أذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى . وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها . قال القرشى وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر بن سليمان ثنا شعبة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال مابعث الله نبياً إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء : قال القرشى وثنى القاسم ابن هاشم عن إبراهيم بن الأشعث عن فضيل بن عياض : قال حدثنى بعض أشياخنا أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجى ربه تعالى ، فقال له الملك : ويلك ماترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه ، قال : أرجو منه مارجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة . قال القرشى وثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيبانى ثنا فرج ابن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضى الله عنه قال :

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه والأول مذموم والثانى محمود وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا فى اثنتين .

(٢) الحرص شدة الإرادة والشره إلى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع وحرص نافع فالأول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من عيبها . والثانى حرصه على طاعة الله تعالى خوف أن تفوت .

بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس (١) له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك ياموسى : فقال له موسى عليه السلام ، من أنت : قال أنا إبليس ، قال فلاحياك الله ماجاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال : فما الذى رأيته عليك ، قال : به أختطف قلوب بنى آدم ، قال : فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ، قال إذا أعجبته نفسه . واستكثر عمله . ونسى ذنوبه . وأحذرك ثلاثاً :

لا تخلون بامرأة لاتحل لك قط ، فانه ماخلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها .

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، فإنه ماعاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولاتخرجن صدقة إلاأمضيتها فإنه ماأخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها . ثم ولى وهو يقول : ياويله ثلاثاً علم موسى مايحذر به بنى آدم .

قال القرشى : وحدثنى محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال : سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به ، فلا أخطىء وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى .

قال القرشى : وحدثنا إسحق بن إبراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل بن أخى وهب بن منبه قال : سمعت وهباً يقول : قال راهب الشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ، قال الحدة (٢) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

قال القرشى : وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة عن

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أو جبة أو غيرها ؛ وقد شاع استعماله فى المغرب .

(٢) الحدة مايعترى الإنسان من الغضب .

ثابت رضي الله عنه قال : لما بعث النبي ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم مالكم لاتصيبون منهم شيئاً ، فقالوا : ماصحبنا قوماً مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا ، هنالك تصيبون حاجتكم منهم .

قال القرشي : وأخبرنا أحمد بن جميل المروزى نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمى عن أبي موسى قال : إذا أصبح إبليس بث جنوده فى الأرض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج . فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق ، قال يوشك أن يبر . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنى . قال أنت . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر ، قال أنت ، قال : ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت .

قال القرشي : وسمعت سعيد من سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضباً لله فلقيه إبليس فى صورة إنسان ، فقال : ماتريد؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله . قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال لأقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لاتقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك . قال فمن أين لى ذلك قال أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ، فقام غضباً ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال ماتريد ؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدرى من أنا أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضباً فلم يكن لى عليك سبيل . فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك .

قال القرشي : وحدثنا بشر بن الوليد الكندى ثنا محمد بن طلحة عن زبيد ابن مجاهد قال : لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من

من أمره ، ثم سماهم : فذكر ثبر ، والأعور ، ومسوط ، وداسم ، وزكنبور ، فأما ثبر ، فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية ؛ وأما الأعور ، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه ؛ وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر ، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا ؛ وأما داسم ، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم ؛ وأما زكنبور ، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق .

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحاق ثنا إسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال : ماندب الله العباد إلى شىء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر : إما غلو فيه ، وإما تقصير عنه . وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل سمعت حياة بن شراحيل يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : إن إبليس موثق فى الأرض السفلى ، فإذا هو تحرك كان كل شرفى الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه .

قال الشيخ : أبو الفرج رحمه الله ، قلت : وفتن الشيطان ومكايده كثيرة فى غضون هذا الكتاب منها مايليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى : ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة . فإن من يدع إلى مايحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها ؛ ولما ركب الهوى فى هاروت وماروت لم يستمسكا ، فاذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته .

وأخبرنا محمد بن أبى منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى ابن سريج قال: ثنا عتبة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن عبد العزيز بن رفيع قال : إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان ، ياويحه كيف نجا .

﴿ ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطانا ﴾

أخبرنا أبو الحصين الشيباني نا أبو علي المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبدالله ابن أحمد بن حنبل ثني أبي ثنا هرون ثنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : مالك ياعائشة أغرت(١) ، فقلت : ومالي لايغار مثلي على مثلك؟ فقال : أوقد جاءك شيطانك ؟ قالت : يارسول الله أومعي شيطان ! قال نعم ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال نعم ، قلت : ومعك يارسول الله ؟ قال نعم ، ولكن ربي عزوجل أعانني عليه حتى أسلم : انفرد به مسلم ، ويجيء بلفظ آخر : أعانني عليه فأسلم . قال الخطابي : عامة الرواة يقولون : فأسلم على مذهب الفعل الماضي إلا سفيان بن عيينة فإنه يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لايسلم . قال الشيخ : وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا يحي عن سفيان ثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا وإياك يارسول الله قال : وإياي ، ولكن الله عزوجل أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق : وفي رواية فلا يأمرني إلا بخير . قال الشيخ : انفرد به مسلم واسم أبي الجعد رافع وظاهره إسلام الشياطين ، ويحتمل القول الآخر .

﴿ بيان أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ﴾

اخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثني عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن صفية

---

(١) وهي الحمية والأنفة ، يقال : رجل غيور ، وامرأة غيور

بنت حيي زوج النبي ، قالت كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني(١) وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : على رسلكما إنها صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يارسول الله ! قال : إن الشيطان(٢) يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً ـ أو قال شيئاً ـ الحديث في الصحيحين . قال الخطابي : وفي هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون ، ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب ، ويحكى في هذا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : خاف النبي ﷺ أن يقع في قلوبهما شيء من أمر فيكفرا ، وإنما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه .

﴿ ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم(٣) ﴾

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٤) وعند السحر ، فقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾(٥) إلى آخر السورة : فاذا أمر بالتحرز من شره في هذين الأمرين فكيف في غيرهما .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا سيار ثنا جعفر ثنا أبو التياح ، قال : قلت لعبد الرحمن بن حنبش :

---

(١) ليقلبني بفتح الياء أي ليردني إلى منزلي .

(٢) ظاهر الحديث أن الله تعالى جعل للشيطان قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان في مجاري دمه ، ويحتمل أنه من قبيل الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه ، وقيل : إنه يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل إلى القلب .

(٣) التعوذ التحصن والاعتصام والالتجاء ، والمعوذتان عوذتا قارئهما أي عصمتاه من كل سوء .

(٤) سورة النحل آية (٩٨) (٥) سورة الفلق آية (١)

أدركت النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، قلت : كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين ؟ فقال : إن الشياطين تحدرت(١) تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ . فهبط إليه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد قل ، قال : أما أقول ؟ قال : قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، قال : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تعالى .

أنبأنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي حدثني أبو سلمة المخزومي ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى ، فيقول : فمن خلق الله ، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه . قال القرشي ثنا هناد بن السري ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن سائب عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه ، قال : إن للشيطان لمة(٢) بابن آدم ، وللملك لمة فأما لمة ، الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ؛ وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ؛ فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم انه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾(٣) الآية .

قال الشيخ رحمه الله : وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن

(١) من الحدور أي تنزلت .

(٢) اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان .

(٣) سورة البقرة آية (٢٦٨)

والحسين فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . ثم يقول هكذا كان ابى إبراهيم صلى الله عليه وآله(١) وسلم يعوذ إسماعيل وإسحاق أخرجاه فى الصحيحين . قال أبو بكر بن الأنبارى الهامة واحد الهوام ، ويقال . هى كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان .

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر البرمكى نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزينبى ثنا محمد بن خلف ثنا عبد الله بن محمد ثنا فضيل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : قال مطرف . نظرت فإذا ابن آدم ملقى بين يدى الله عز وجل وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه عصمه ، وإن تركه ذهب به إبليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه . ماتصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا . قال ؟ أجاهده ، قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده ، قال . فإن عاد ؟ قال أجاهده . قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ماتصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدى . قال هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

قال الشيخ ، رحمه الله : واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ، فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح ، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان فيكفيه فى طرده الذكر ، والثانى مثل المخلط لايفارقه الشيطان لمكان تخليطه ، نعوذ بالله من الشيطان .

(١) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ، ولعل « بآله » زيادة من النساخ .



الباب الرابع

في معنى التلبيس والغرور



قال المصنف : التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق ، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردىء جيداً : وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم . واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن

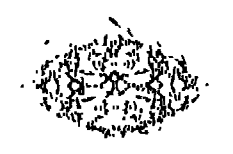
سور ، وللسور أبواب ، وفيه ثُلَمٌ(١) وساكنه العقل ، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن ، وإلى جانبه رَبَضٌ(٢) فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم . فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم ، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة . فإن العدو ما يفتر . قال رجل للحسن البصرى : أينام إبليس ؟ قال : لو نام لوجدنا راحة ؛ وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان ، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به ، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن ، وتصدأ المرآة وكمال الفكر يرد الدخان ، وصقل الذكر يجلو المرآة ، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث(٣) وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته ، وربما صار كالفقيه فى الشر ، قال بعض السلف . رأيت الشيطان فقال لى قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره ، وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل ،

---

(١) الثلم جمع ثلمة كغرفة وغُرَف ، وهى فى الأصل موضع الكسر من القدح .
(٢) الربض بفتحتين المكان الذى يؤوى إليه .
(٣) عاث يعيث عيثاً أفسد .

وأوسطه فى القوة الهوى ، وأضعفه الغفلة ، ومادام درع الإيمان على المؤمن ، فإن نبل العدو لايقع فى مقتل .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو محمد ابن حيان ثنا أحمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهرى ثنا أبو غسان النهدى قال : سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول : إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر . أنبأنا على بن عبد الله نا محمد ابن محمد النديم نا عمى عبد الواحد بن أحمد ثنى أبى أحمد بن الحسين العدل ثنا أبو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجانى ثنا حماد بن شعيب عن الأعمش قال : حدثنا رجل كان يكلم الجن ، قالوا : ليس علينا أشد ممن يتبع السنة ، وأما أصحاب الأهواء ، فإنا نلعب بهم لعباً .



الباب الخامس

في ذكر تلبيسه

في العقائد والديانات



ذكر تلبيسه على السوفسطائية(١)

قال الشيخ : هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا : زعموا أن الأشياء لاحقيقة لها وأن مايستبعده يجوزأن يكون على مانشاهده، ويجوز أن يكون على غير مانشاهده . وقد اورد العلماء عليهم ، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة أم لا ؟ فان قلتم لاحقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعوا إلى مالاحقيقة له ؟ فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لايحل قبول قولكم ؛ وإن قلتم لها حقيقة ، فقد تركتم مذهبكم . وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن ابن موسى النوبختي في كتاب الآراء والديانات ، فقال : رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا في أمر هؤلاء غلطا بيناً . لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم وهم لم يثبتوا حقيقة ولاأقروا بمشاهدة ، فكيف تكلم من يقول : لاأدرى أيكلمني أم لا ؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لايدرى أموجود هو أم معدوم ؟! وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت في الإبانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد ؟ قال : ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر ، فيجعل مايعرف سبباً إلى تصحيح مايجحده . فأما من لايقر بذلك فمجادلته مطروحة . قال الشيخ : وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال : إن أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية مايمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب ، وهؤلاء لايقولون بالمحسوسات فبم يكلمون ؟ قال : وهذا كلام ضيق العطن ، ولاينبغي أن يوئس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولاينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم

(١) اعلم أن السوفسطائية انقسمت ثلاثة مذاهب : الأول ينكر حقائق الأشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية ، والثاني ينكر العلم بثبوت الشيء ولابعدم ثبوته ، ولاينكر نفس الحقائق ولايثبتها ويزعم أنه شاك وشاك في أنه شاك وهم اللاأدرية ، والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهي ، مذكورة في كلام المصنف على هذا الترتيب .

فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً احول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين ، حتى إنه لم يشك أن فى السماء قمرين : فقال له أبوه القمر واحد ، وإنما السوء فى عينيك ، غض عينك الحولاء وانظر ، فلما فعل قال : أرى قمراً واحداً لأنى عصبت إحدى عيني فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية ، فقال له أبوه : إن كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة ففعل فرأى قمرين ، فعلم صحة ماقال أبوه .

أنبأنا محمد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن البنا ثنا ابن دودان نا أبو عبد الله المرزبانى ثنى أبو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال : مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له . فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل : لاأعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع ، فقال له صالح ياأبا الهذيل ، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك ، قال هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان ، فقال له النظام : فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت ؛ وإن كان قد مات فشك أيضاً فى أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه . وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقال سرقت دابتى ، فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً ، قال بلى ، قال فكر ، قال هذا أمر أتيقنه ، فجعل يقول له تذكر ، فقال ويحك ويحك ماهذا موضع تذكر ، أنا لاأشك أنى جئت راكباً ، قال : فكيف تدعى أنه لاحقيقة لشىء وإن حال اليقظان كحال النائم؟ فوجم السوفسطائى ورجع عن مذهبه .

﴿ فصل ﴾ قال النوبختى قد زعمت فرقة من المتجاهلين انه ليس للأشياء حقيقة واحدة فى نفسها ، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب مايعتقد فيها ، فان العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً . ويجده غيره حلواً . قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه ، محدث عند من اعتقد حدوثه . واللون

جسم عند من اعتقده جسما ، وعرض عند من اعتقده عرضاً . قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد . وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقولكم صحيح ؟ فسيقولون هو صحيح عندنا ، باطل عند خصمنا . قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه ، ومما يقال لهم : أتثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فان قالوا لا ، لحقوا بالأولين ، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين .

﴿ فصل ﴾ قال النوبختى . ومن هؤلاء من قال : إن العالم فى ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الإنسان أن يتفكر فى الشيء الواحد مرتين . لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم : كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت مايوجب العلم ، وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه .

﴿ ذكر تلبيسه على الدهرية ﴾

قال المصنف : قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع ، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون ، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه ، وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لابد له من بان بناه ، فهذا المهاد الموضوع ، وهذا السقف المرفوع ، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة ، أما تدل على صانع ، وما أحسن ماقال بعض العرب : إن البعرة تدل على البعير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة ، ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على اللطيف الخبير ، ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلا ، ولشفت غليلا فإن فى هذا الجسد من الحكم مالا يسع ذكره فى كتاب . ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع ، وتعريض الأضراس لتطحن . واللسان يقلب الممضوغ وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ، ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ماتحتاج إليه من الغذاء ،

وهذه الأصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح ، فيمكن العمل بها ، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوى فكسرها ، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت ، وأخفى فى البدن مافيه قوامه ، وهى النفس التى إذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد إلى المصالح ، وكل شيء من هذه الأشياء ينادى أفى الله شك ؟ وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس ، ومن الناس من جحده ، لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود ، ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لاتدرك إلا جملة كالنفس والعقل ، ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما . وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة ، وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولاماهية .

ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لايخلو من الحوادث وكل مالا ينفك عن الحوادث حادث ، ولابد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه . وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا : لابد للصنعة من صانع فيقولون إنما تعلقتم فى هذا بالشاهد وإليه نقاضيكم فنقول كما أنه لابد للصنعة من صانع فلابد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس . قالوا فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم . فالجواب أنه لاحاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الأشياء اختراعاً فإنا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة فى الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة . وقد اخترعها ولابد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهى شيء جاءت لامن شيء ولايمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لامن صانع .

﴿ ذكر تلبيسه على الطبائعيين ﴾ (١)

قال المصنف : لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة

---

(١) الطبائعيين نسبة إلى الطبائع الاربعة وهى : التراب ، والماء ، والنار ، والهواء على مذهبهم هداهم الله إلى صراطه المستقيم ، ويعتقدون أنها أصول كل شيء .

وقال مامن شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه . فدل على أنها الفاعلة ، وجواب هذا ، نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها . وذلك يخالف طبيعتها ، فدل على أنها مقهورة . وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم ، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادرا ، فإن قالوا ولو كان الفاعل حكيما لم يقع فى بنائه خلل . ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع . قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التى لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع . فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة ، أو فى طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع فى نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البرة وتيبسها ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل أو رطبته فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة فى يبس هذه للادخار ، والنضج فى هذه للتناول ، والعجب أن الذى أوصل إليها اليبس فى أكنة(١) لا يلقى جرمها والذى رطبها يلقى جرمها ، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلى العنب ، والماء واحد ، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ (٢)

﴿ ذكر تلبيسه على الثنوية ﴾

وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان : ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ،

---

(١) الأكنة الأغطية واحد الأكنان ، قال تعالى : (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أى أغطية .

(٢) سورة الرعد آية (٤)

وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين ، سميعين بصيرين ، وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتدبير ، فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصلاح . وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة منها الشر والفساد(١) . كذا حكاه النوبختي عنهم ، قال : وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة . وقال بعضهم : بل كل واحد إلى جانب الآخر . وقال أكثرهم : النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال ، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب . ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه ، قال النوبختي : وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة ، أربعة منها أبدان وخامس هو الروح ، وأبدان النور أربعة : النار والريح ، والتراب ، والماء ، وروحه الشبح ، ولم تزل تتحرك في هذه الأبدان ؛ وأبدان الظلمة أربعة : الحريق ، والظلمة ، والسموم ، والضباب ، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة ، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت . وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة . وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه ، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه . وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة . ومذاهب سخيفة . فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم ، وقال بعضهم : على الإنسان صوم سبع العمر ، وترك الكذب والبخل والسحر ، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة ، وأن لا يؤذى ذا روح ، في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة . وذكر يحي بن بشر النهاوندي أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم(٢) كانت طينة خشنة وكانت تحاكي جسم الباري الذي هو النور زمانا ، فتأذى بها ، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النوري والظلمي ، فما

(١) انظر أهداف سورة الكهف ص ٩٨ وما بعدها .

(٢) وفي نسخة طينة العالم .

كان من جهة الصلاح فمن النور ، وماكان من جهة الفساد فمن الظلمة ، وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة ، مذاهب سخيفة ، والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شراً واختلافاً ، فقالوا لايكون من أصل واحد شيئان مختلفان : كما لا يكون من النار التبريد والتسخين . وقد رد العلماء عليهم فى قولهم إن الصانع اثنان ، فقالوا لوكان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين ، أو عاجزين ، أو أحدهما قادر والثانى عاجز ؛ لايجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية ، ولايجوز أن يكون أحدهما عاجزاً ، فبقى أن يقال هما قادران ، فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه ، ومن المحال وجود مايريدانه ، فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر ، وردوا عليهم فى قولهم : إن النور يفعل الخير ، والظلمة تفعل الشر . فانه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولا ينبغى مد النفس فى الكلام مع هؤلاء فان مذهبهم خرافات .

﴿ ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم ﴾

إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم . وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء . فمنهم من قال بقول الدهرية أن لاصانع للعالم ، حكاه النوبختى وغيره عنهم . وحكى النهاوندى أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب فى جوف هذا الفلك وأن فى كل كوكب عوالم كما فى هذا الأرض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم ، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولا له ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان ، فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه ؟ فان قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود البارى وبين المخلوقات زمان . قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان . ثم يقال لهم : كان الحق سبحانه قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع . فان قالوا لايمكن فهو

تعجيز ، ولأن مالا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ماهو عليه واجب لاممكن ، والواجب يستغنى عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم ، وهذا تجوز عندهم لاحقيقة . لأن الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله ؛ ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً كما لابداية لوجوده فلا نهاية . قالوا لأنه معلول علة قديمة . وكان المعلول مع العلة ، ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولامعلولا . وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول(١) فى هذه المدة الطويلة فيقال له قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لابالذبول ، ثم من أين له أنها لاتذبل ؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أونحو ذلك ، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس . ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولايحس نقصانهما ، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر والقادر لايتغير فى نفسه ولاتحدث له صفة وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة .

﴿فصل﴾ وحكى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة : علة فاعلة ، والعنصر ، والصورة ، قال : والله تعالى هو الفعال(٢) والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد ، والصورة جوهر الجسم ، وقال آخر منهم : الله هو العلة الفاعلة ، والعنصر المنفعل ، وقال آخر منهم العقل رتب الأشياء هذا الترتيب ، وقال آخر منهم بل الطبيعة فعلته .

وحكى يحى بن بشير بن عمير النهاوندى أن قوما من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقاً ومتحركا وساكناً علمنا أنه محدث ولابد له من محدث ثم رأينا أن الإنسان يقع فى الماء ولايحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلايغيثه ، أو فى النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم . قال واختلف هؤلاء فى عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق : فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه فخشى أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد ، فأهلك نفسه وخلا منه العالم ، وبقيت

(١) يقال ذبل الشيء ضعف وذهبت نضارته .
(٢) وفى نسخة هو العقل .

الأحكام تجرى بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق ، وقالت الفرقة الثانية : بل ظهر فى ذات البارى تولول ، فلم يزل تجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور فى ذلك التولول وهو العالم ، وساء نور البارى وكان الباقى منه سنور .

وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان ، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور .

وقالت الفرقة الثالثة : بل البارى لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته فى العالم فهى من جوهر اللاهوتية . قال الشيخ رحمه الله : هذا الذى ذكره النهاوندى نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة ؛ ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل إبليس فى تلبيسه ، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ، ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره .

﴿ فصل ﴾ وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لايعلم شيئاً ، وإنما يعلم نفسه ، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه ، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق .

قال المصنف : وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه ، فانظر إلى ملازمته إبليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل ، وقد خالفهم أبوعلى ابن سيناء فى هذا فقال بل يعلم نفسه ، ويعلم الأشياء الكلية ولايعلم الجزئيات ، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة ، وكأنهم استكثروا المعلومات ، فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص ، ونؤمن بقوله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(١) وقوله : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾(٢) وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته ، فراراً من أن يثبتوا قديمين ، وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ، ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين ، وزعموا أن النفس تبقى بعد

---

(١) سورة الملك آية (١٤)   (٢) سورة الأنعام آية (٥٩)

الموت بقاء سرمدياً أبداً ، إما فى لذة لاتوصف وهى الأنفس الكاملة ، أو ألم لايوصف وهى النفوس المتلوثة ؛ وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس ، وقد ينمحى عن بعضها الألم ويزول ؛ فيقال لهم نحن لاننكر وجود النفس بعد الموت ، ولذلك سمى عودها إعادة ، ولا أن لها نعيما وشقاء ، ولكن ما المانع من حشر الأجسام ؟ ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار ، وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية ، وأما الحقائق فى مقام الأمثال فتحكم بلا دليل ، فان قالوا الأبدان تنحل وتؤكل وتستحيل . قلنا القدرة لايقف بين يديها شىء ، على أن الإنسان إنسان بنفسه . فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو ، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر وبالهزال والسمن فان قالوا لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروقاً قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لاتقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت فى القبور قبل البعث ، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار نا أبو محمد الجوهرى نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ مابين النفختين أربعون(١) قالوا ياأبا هريرة أربعون يوما ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون سنة قال أبيت ؛ قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل ، قال وليس من الإنسان شىء إلايبلى إلاعظماً واحداً وهو عجب(٢) الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، أخرجاه فى الصحيحين .

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخارى المسئول فيها هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعنى أبيت امتنعت عن الإخبار بما لا أعلم وقد جاءت مفسرة من رواية غيره فى غير مسلم أربعون سنة .

(٢) هو بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذى فى أسفل الصلب ، وهو رأس العصعص .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية الا أنهم لما تكلموا فى الالهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا فى الحسيات والهندسيات وقد ذكرنا جنس تخليطهم فى معتقداتهم . وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم الا جملة والرجوع فيها الى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين فى أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربقة الاسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات ، والمبتدعة فى الدين أعذر منهم لانهم يدعون النظر فى الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال : فان أكثر القوم يثبتون الصانع ولاينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الاسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي ثم يأخذ فى الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم فى انكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضر به فهو عامة زمانه فى تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى فنها قوله فى صفة الدنيا قال :

أتراها صنعة من غير صانعْ ۝ أم تراها رمية من رامْ

وقوله

واحيرتا من وجود ما تقدمه * منا (١) اختيار ولا علم فيقتبس
كأنه فى عماء ما يخلصنا * منه ذكاء ولا عقل ولا شرس (٢)
ونحن فى ظلمة ما إن لها قمر * فيها يضيء ولا شمس ولا قبس
مدلهين حيارى قد تكنفنا * جهل بجهمنا (٣) فى وجهه عبس
فالفعل فيه بلا ربب ولا عمل * والقول فيه كلام كله هوس

﴿ فصل ﴾ ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده الى التمسك بهذه وبعضهم مدّ يده الى التمسك بهذه فترى كثيراً من الحمق اذا نظروا فى باب الاعتقاد تفلسفوا واذا نظروا فى باب التزهد ترهبنوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا انه ولى الإجابة .

(ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل)

وهم قوم يقولون ان لكل روحانى من الروحانيات العلوية هيكلا أعنى جرماً من الاجرام السماوية هو هيكله ونسبته الى الروحانى المختص به نسبة أبداننا الى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت . قالوا: ولا سبيل لنا الى الروحانى بعينه . فيتقرب الى هيكله بكل عبادة وقربان . (وقال آخرون منهم) لكل هيكل سماوى شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتا .

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوما قالوا الكواكب السبعة وهى زحل ، والمشترى ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . هى المدبرات لهذا العالم وهى تصدر عن أمر الملأ الأعلى . ونصبوا لها الأصنام على صورتها ، وقربوا لكل واحد منها مايشبهه من الحيوان . فجعلوا لزحل جسما عظيما من الآنك (٤) أعمى يقرب اليه بثور حسن يؤتى به الى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويداه هنالك ثم

(١) وفى نسخة اختبار (٢) أى سوء خلق (٣) أى يلق بالغلظة (٤) الآنك الرصاص الخالص .

توقد تحته النار حتى يحترق . ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة : ويقربون للمشترى صبياً طفلا وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة (١) للأصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبي على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسل والإبر وهو يبكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وأرزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش (٢) أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلون فى حوض عظيم ويشدون قيوده الى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض زيتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه الى حلقه ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى اذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فلخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به الى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا أيها الإله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا اليك ما يشبهك فتقبل قرباننا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة . ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشترى ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة أنت أيتها الآلهة النورانية قربنا اليك ما يشبهك فتقبلى قرباننا وأرزقينا من خيرك وأعيذينا من شرك . ويقربون للزهرة عجوزاً شمطاء ماجنة (٣) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانته كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا . ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار الى أن تحترق فيحثون رمادها فى وجه الصنم .

---

(١) السدنة بالتحريك جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الأصنام

(٢) النمش بالتحريك نقط بيض وسود

(٣) أى صفيقة الوجه لا تستحى من قبيح القول

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسباً كاتباً متأدباً يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم وينجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الألسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين وربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده فى وجهه

ويقربون للقمر رجلا آدم كبير الوجه ويقولون له يا بريد الآلهة وخفيف الاجرام العلوية .

﴿ ذكر تلبيسه على عبّاد الأصنام ﴾

قال المصنف كل محنة لبس بها ابليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والأعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل (١) دعا ابليس لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة. فنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

﴿ ذكر بداية تلبيسه على عبّاد الأصنام ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو جعفر بن أحمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهرى ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزى : ثنا أبو الحسن على ابن الصباح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال أخبرنى أبى قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بود وهو أخصب جبل فى الأرض . قال هشام فأخبرنى

---

(١) فى نسخة بالميل .

أبى عن أبى الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابل يا بنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شىء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها قال. وأخبرنى أبى أنه كان ود. وسواع. ويغوث. ويعوق. ونسر. قوما صالحين فاتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أننى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا، فقالوا نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول. وعملت على عهد يزد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول. ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكانا عليا، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة. فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جُدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها.

قال الكلبى: وكان عمرو بن لحى كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رئى من الجن. فقال له عجل المسير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت صفا جده، تجد فيها أصناما معدة. فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات

فدفع إليه وداً فحمله فكان بوادى القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمى به . وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام .

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً . قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه ويقول اسق إلهك فأشربه . قال ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً وكان رسول الله ﷺ بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلا من بنى عبد ود يقال له قطن بن سريج فأقبلت أمه (وهو مقتول) وهى تقول :

ألا تلك المودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر (١) له أم بشاهقه رؤوم

ثم قالت :

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت

قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة صف لى وداً حتى كأنى أنظر إليه . قال : كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دبر أى نفس ، عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعنى جعبتها (٢)

قال : وأجابت عمرو بن لحى مضر بن نزار فدفع الى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا ، وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر . فقال رجل من العرب :

---

(١) العفر — بكسر العين وضمها ذكر الخنازير

(٢) الوفضة — الجعبة التي تجعل فيها السهام

ترام حول قبلتهم عكوفا   كما عكفت هذيل على سواع
يظل جباته صرعى لديه   غنائمُ من ذخائر كل راعى

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها .

وأجابته همدان فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم نعوق ، وكان بقرية يقال لها خيوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن .

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسراً وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها . فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها .

قال ابن هشام وحدثنا الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفعت لى النار فرأيت عمرو ابن لحى قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو ابن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان . قال هشام وحدثنى أبي وغيره أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له فيها أولاد فكثروا حتى ملؤا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا أحتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيث ماحلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصيانة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر (١) ابراهيم وإسماعيل ثم عبدوا مااستحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ماكانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم

(١) وفى نسخة ارث

وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك).

وكان أول من غير دين إسماعيل ونصب الأوثان وثيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغا عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهم بن إسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديدا فقيل له أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسق بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام.

وكان أقدمها مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له .

قال هشام : وحدثنا رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال :كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقامو عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه فهدمها عام الفتح .

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة (١) وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع

(١) فى نسخة مربعة .

العرب تعظما وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه الصوت.

قال هشام : وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال لا . قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى النبى ﷺ . فقال هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعضد الثالثة فأتاها فإذا هو بجنية نافشة سعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دبية السلمى وكان سادنها . فقال خالد :

ياعز كفرانك لاسبحانك   أنى رأيت الله قد اهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هى حممة (١) ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب .

قال هشام : وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل . وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خذيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح الحقوه وإن خرج ملصقاً دفعوه . وكانوا إذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل أى علا دينك . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه ألا تجيبونه فقالوا

---

(١) الحممة بضم الحاء وفتح الميمين جمعها حمم الرماد ، وكل ما احترق من النار .

وما تقول . قال قولوا الله أعلى وأجل . وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدثت الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن أساف رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن فأقبلا حجاجاً فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فى البيت فسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليقظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها . وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان ملصقا بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندها .

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة (١) بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة (٢) والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة . فقال رسول الله ﷺ لجرير رضى الله عنه :الا تكفنى ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحمس فقابلته خثعم وباهلة فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين. فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الثرى .

وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم فى مشارف الشام يقال له الأقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .

وكان لعنزة صنم يقال له سعير

---

(١) المروة — حجارة براقة تقدح منها النار جمعها مرو .

(٢) وفى نسخة اليمن : قال ابن الأثير فى النهاية تبالة بفتح التاء وتخفيف الباء بلد باليمن معروف .

وكان لطيء صنم يقال له الفلس . وكان لأهل كل واد من مكة صنم فى دارهم يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . ومنهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحسن ثم طاف به وسموها الأنصاب . وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعله ثالثة الاثافى (١) لقدره فاذا ارتحل تركه . فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية (٢) قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : فى زمان يزد برد عبدت الأصنام ورجع من رجع عن الاسلام .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبيدالله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا جنبل ثنا حسن بن الربيع ثنا مهدي بن ميمون . قال سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : لما بعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ، ولحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذاك ونأخذه وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . أخبرنا محمد بن عبدالباقى بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم أحمد بن عبدالله ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو عباس السراج ثنا أحمد بن الحسن بن خراش ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا عمارة المعولى . قال سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : كنا نعمد الى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده . وكنا نعمد الى الحجر الأبيض فنعبده زمانا ثم نلقيه . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن على الوراق نا أحمد بن ابراهيم ثنا يوسف بن يعقوب النيسابورى نا أبو بكر

(١) الأثافى جميع الأثفية ما يوضع عليه القدر .
(٢) سية القوس بكسر السين وبالياء ماعطف من طرفيها .

ابن أبى شيبة ثنا يزيد بن هرون نا الحجاج بن أبى زينب . قال سمعت أبا عثمان النهدى قال : كنا فى الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا مناديا ينادى يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره . قال : فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب ، اذا نحن بمناد ينادى إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال : فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر . أنبأنا محمد بن أبى طاهر نا أبو اسحاق البرمكى نا أبو عمر بن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عمرو تنى الحجاج بن صفوان عن ابن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال : كنت امرءاً ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم آلهة فيخرج الحى منهم فيأتى بأربعة أحجار . فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها . إلهاً يعبد . ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره . أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيق نا عثمان بن عمرو بن المنتاب نا أبو محمد عبدالله بن سليمان الفامى ثنى أبو الفضل محمد بن أبى هرون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروى عن شيخ من ساكنى مكة . قال : سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والأصنام . فقال أصل عبادتهم الحجارة انهم قالوا البيت حجر فحيث مانصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت . وقال أبو معشر : كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبيه ويقرون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وأن الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناماً على صورة لله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم . وقيل لبعضهم : أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام .

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار . والبيت الثانى والثالث فى أرض الهند . والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ . والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم

الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه . والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم .

وذكر يحي بن بشير بن عمير النهاوندى : أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى ، ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان . (وهى مدينة من مداين السند) . وجعل فيه صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهيولى الأكبر . وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم : إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال . فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج اليه من ألفى فرسخ ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقيه فى صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم . فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه :

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : «أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا »[1] وكانت الإشارة إلى العباد أى أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع الأشياء ولا يصنع ، ويجمع وليس بمجموع ، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها ، وإنما ينبغى للانسان أن يعبد من صنعه لا ماصنعه . وما خيل اليهم أن الأصنام تشفع خيال ليس فيه شبهة يتعلق بها .

---

(١) سورة الأعراف (١٩٥)

﴿ ذكر تلبيسه على عابدي النار والشمس والقمر ﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هي الجوهر الذي لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس .

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبري : أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه ابليس . فقال له : ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها ، قال الجاحظ : وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحي ينزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد بتضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط . وشرع لأصحابه التوضوء بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة . قال ومن قول زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته ابليس . فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه ودعه إلى مدة .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة . فأول من رسم لها بيتاً أفريدون فاتخذ لها بيتا بطرسوس وآخر ببخارى . واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان . واتخذ لها أبو قباذ بيتا بناحية بخارى . وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم . وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال لا تطفؤا هذه النار .

﴿فصل﴾ قال المصنف : وقد حسن إبليس لعنه الله لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها . وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون

إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها . وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أي شبهه ومثله في الخلاف كما قالت بنو اسرائيل لمريم يا أخت هارون أي يا شبيهة هارون في الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هي الغميصاء وهي تقابلها وبينها المجرة — والغميصاء من الذراع المبسوط في جبهة الأسد وتلك في الجوزاء .

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا : هي بنات الله تعالى . تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامري من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا . وجاء في التعبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس في هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله في تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة .

﴿ ذكر تلبيسه على الجاهلية ﴾

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم في عبادة الأصنام . ومن أقبح تلبيسه عليهم في ذلك تقليد الآباء من غير نظر في دليل كما قال الله عز وجل « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ »(١) المعنى أتتبعونهم أيضا .

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم : « مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ »(٢) . وعلى آخرين منهم : فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث . وعلى آخرين منهم : فزعموا أن الملائكة بنات الله . وأمال آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس، وكان في بني تميم منهم زرارة ابن جديس التميمي وابنه حاجب .

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبدالمطلب ابن هاشم ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعامر بن الظرب ـ

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٠)
(٢) سورة الجاثية آية (٢٤)

وكان عبد المطلب إذا رأى ظالما لم تصبه عقوبة . قال تالله أن وراء هذه الدار لداراً يجزى فيها المحسن والمسيء . ومنهم زهير بن أبى سلمى وهو القائل :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن ، ومنهم القلمس بن أمية الكنانى . كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوما : يا معشر العرب أطيعونى ترشدوا قالوا : وما ذاك . قال : انكم تفردتم بآلهة شتى إنى لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده . فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشيا وممن قاله عمرو بن زيد الكلبي .

قال المصنف : وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعده وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة . فنها النسيء وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة . وإذا حجوا قالوا : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهى الناقة تلد خمسة أبطن فان كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء . والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبنا . والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فان كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء . والحام الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه . ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله

الكذب» . ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه بقولهم «خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا»(1) قال الله تعالى «قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ»(2) المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الانثيين فكل الأناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والأناث فيكون كل جنين حراماً .

وزين لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه . ومن جملة ما لبس عليهم ابليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التى ابتعدوها كثيراً لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج إلى تكلف ردها .

- ذكر تلبيس إبليس على جاحدى النبوات -

قال المصنف : قد لبس أبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الاله . وقد اختلف أهل الهند فنهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأسا من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدو البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها .

قال المصنف : وقد القى أبليس إلى البراهمة ست شبهات .

(الشبهة الأولى) : استبعاد اطلاع بعضهم على ماخفى عن بعض فقالوا :

(1) سورة الأنعام آية (139)   (2) سورة الأنعام آية (143)

(مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[1] والمعنى وكيف أطلع على ما خفى عنكم . وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى إذ ليس كل أحـد يصلح لذلك وقد علم الـكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقـاوم ما يعرض من الفساد البدنى فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا والبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأخلاق والأفعال ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون أمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بهما سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله عز وجل: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ)[2]

(الشبهة الثانية) قالوا هلا أرسل ملكا فإن الملائكة إليـه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسـة على جنسهم فيوقع هـذا شكا وجواب هـذا من ثلاثة أوجه: أحـدهما أن فى قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة. وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلا على صدقه . والثانى : أن الجنس إلى الجنس أميـل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عـنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه : والثالث أنه ليس فى قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى (وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا)[3] أى لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ)[4] أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى .

(الشبهة الثالثة) قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحى يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل

(١) سورة المؤمنون آية (٢٤)
(٢) سورة يونس آية (٢)
(٣) سورة الأنعام آية (٩)
(٤) سورة الأنعام آية (٩)

نفرق به بين الصحيح والفاسد . والجواب أن نقول : أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحى ميتاً ولا أن يخرج من عصا حيا وأما الكاهن فقد يصيب ويخطىء بخلاف النبوة التى لا خطأ فيها بوجه .

(الشبهة الرابعة) قالوا لا يخلوا ما أن تجىء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه. والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيراً من النساس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحكماء والسلاطين فكيف بأمور الإلهية والأخروية .

(الشبهة الخامسة) قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك إيلامُ الحيوان . والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفى عنه ومتى اشتبه علينا أمر فى فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم أن الحيوان يفضل على الجاد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتى من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم فى إبقاء القوى مقام اللحم شىء ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته . وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لايجاده فائدة . وأما ألم الذبح فانه يستر وقد قيل أنه لا يوجد اصلا لأن الحساس للألم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أوسكتة لم يحس الانسان بألم فاذا قطعت الأوداج سريعا لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته » .

(الشبهة السادسة) قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من

حجارة وخشب . والجواب أن هذا كلام ينبغي أن يستحي من إيراده فانه لم يبق شيء من العقاقير والأحجار إلا وقد وضحت خواصها وبان سترها فلو ظفر واحد منهم بشيء وأظهر خاصيته لوقع الانكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا ليس هذا منك إنما هذه خاصية فى هذا . ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً بل هى بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجّر عيوناً وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والأفكار تتدبره والتحدى به على الدوام ولم يقدر أحد على مداناة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة .

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه : صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والإمتثال لأوامرها كابن الراوندى ومن شاكله كأبي العلاء . ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثراً بل الجوامع تتدفق زحاما والاذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي ﷺ والإقرار بما جاء به ، وإنفاق الأموال والأنفس فى الحج مع ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد . فجعل بعضهم يندس فى أهل النقل فيضع المفاسد على الأسانيد ويضع السير والأخبار وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص فى أحجار وخوارق العادات فى بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين ويبالغ فى تقرير ذلك حتى قالوا أن سطيحا قال فى الخبيء الذى خبيء له : حبة بر ، فى إحليل مهر . والأسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه . وههنا اليوم معزمون يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هذا ، وليس قول الكاهن . حبة بر فى إحليل مهر ، وقد أخفيت كل الاخفاء بأكثر من قوله . « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » وهل بقى لهذا وقع فى القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلمح هذا إلا النبي (١)

(١) وفى نسخة إلا الفتى

والله ما قصدوا بذلك إلا قصداً ظاهراً ولحوا إلا لحاً جلياً فقالوا تعالوا نكثر الجولان فى البلاد والأشخاص والنجوم والخواص فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه . فيصدق بها الكل ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقاً للعادات . ثم دس قوم من الصوفية أن فلانا أهوى باناته إلى دجلة فامتلأ ذهباً فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين . وبطريق العادات فى حق المنجمين . وبطريق الخواص فى حق الطبايعين . وبطريق الكهانة فى حق المعزمين . والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام . « وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ »[1]. وأى خرق بقى للعادات وهل العادات إلا استمرار الوجود . وكثرة الحصول . فاذا نبههم العاقل المتدين على ما فى هذا من الفساد قال الصوفى، أتنكر كرامات الأولياء ، وقال أهل الخواص . أتنكر المغناطيس الذى يجذب الحديد والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان فويل للحق معهم هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يخلون ولا يعتقدون إلا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلمتها حتى أن كل الطوائف تحت قهرها إقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعاً لأهل المحال .

﴿ فصل ﴾ ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم فيحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجىء مضمخا بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التى تعلق إلى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثواب الجنة ثم يلقى نفسه فى الأخدود فيحترق فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن يسيل ودكه فيسقط . ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعاً ويلقيها إلى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت : ومنهم من يقف فى اخثاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق . ومنهم من يعبد الماء ويقول هو حياة كل شىء فيسجد له . ومنهم من يجهز له أخدود قريب من

(١) سورة آل عمران آية (٤٩)

الماء فيقع فى الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس فى الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وإن مات فى أحدهما شهدوا له بالجنة. ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولا عن المشى ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد. ومنهم من يهيم فى الأرض حتى يموت : ومنهم من يغرق نفسه فى النهر. ومنهم من لا يأتى النساء ولا يوارى إلى العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول :طوبى لمن ارتقى هـذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه بيـده . ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت : والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين فى نهر والنصف الآخر فى نهر ويزعمون انهما يجريان إلى الجنـة . ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه بنيته فإذا أضجر جلس وتجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخـذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها ، فى أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختى يضيع الزمان فى كتابتها والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحـكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحـكمة وتلهم دقائق الأعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقادم قال وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة فى أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سـنة وثلاثة وثلاثون الف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها . وأن النار أثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه .

ـ ذكر تلبيسه على اليهود ـ

قال المصنف . قد لبس عليهم فى أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك. فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقا لجاز عليه ما يجوز عليهم وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا . أن اليهود تزعم أن

الإله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كالآدميين ومن ذلك قولهم عزيز بن الله ولو فهموا أن حقيقة البنوة لا تكون إلا بالتبعيض والخالق ليس بذى أبعاض لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا ابنوة . ثم أن الولد فى معنى الوالد وقد كان عزيز لا يقوم إلا بالطعام والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها والذى دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة ويدل على أن القوم كانوا فى بعد من الذهن انهم لما رأوا أثر القدرة فى فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾(١) فلما زجرهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم العجل والذى حملهم على هذا شيئان، أحدهما جهلهم بالخالق والثانى أنهم أرادوا ما يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما جترأوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾(٢) وقولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾(٣) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات ، وذوات المحارم ، والعمل فى يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا أمر الله عز وجل بشىء كان حكمه فلا يجوز تغييره . قلت . قد يكون التغيير فى بعض الأوقات حكمة فان تقلب الآدمى من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح إبنه ثم نهاه عن ذلك .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾(٤) ، وهى الأيام التى عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم ابليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا ﷺ وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة فعلماؤهم عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك

---

(١) سورة الأعراف آية (١٣٨)
(٢) سورة آل عمران آية (١٨١)
(٣) سورة المائدة آية (٦٤)
(٤) سورة البقرة آية (٨٠)

الأمر ويعمل بالهوى ثم أنهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا أنه آدر (١) واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار نا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر ابن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن سعد نا علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبدالله بن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس (٢) فقال اخرجوا إليّ أعلمكم فخرج إليه عبدالله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أني رسول الله ؟ قال : اللهم نعم . وأن القوم ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك . قال : فما يمنعك أنت . قال : أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش . قال : كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا عليّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائنا بعد الموت . فقال له ويحك : يا فلان أترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به يود أحدهم أن له حظه من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قال له ويحك وما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن

(١) الآدر : منتفخ الخصية وهو عيب بالفحولية .

(٢) المدارس : كنيسة اليهود وجمعه مداريس .

قالوا ومتى نراه قال فنظر إلىّ وأنا من أحدثهم سنا أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسداً فقلنا له ويلك يا فلان ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به .

﴿ ذكر تلبيسه على النصارى ﴾

قال المصنف : تلبيسه عليهم كثير فمن ذلك أن ابليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس : أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الإبن والآخر روح القدس فبعضهم يقول : الأقانيم خواص . وبعضهم يقول : صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والاوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله . قال أبو محمد النوبختى زعمت الملكية واليعقوبية أن الذى ولدته مريم هو الإله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون فى هذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره فى الانجيل ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبى إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة وهذا تلبيس من إبليس استغفلهم فيه لأنه متى ثبت أنه نبى فالنبى لا يكذب وقد قال بعثت إلى الناس كافة وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

﴿ ومن تلبيس إبليس على اليهود والنصارى ﴾

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لاجل أسلافنا فمنا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : « نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ »(1) . أى منا ابنه عزير وعيسى . وكشف هذا التلبيس أن كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه

(1) سورة المائدة آية (18)

عنه ذو قرابته ولو تعمت المحبة شخصاً إلى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا ﷺ لابنته فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل .

﴿ ذكر تلبيسه على الصابئين ﴾

قال المصنف : أصل هذه الكلمة أعنى الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء فى مذاهبهم عشرة أقوال : أحدها أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد : والثانى أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبى نجيح عن مجاهد : والثالث أنهم بين اليهود والنصارى . رواه القاسم بن أبى بزة عن مجاهد : والرابع : أنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس . والخامس : أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد . والسادس: نهم كالمجوس قاله الحسن . والسابع: أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية . والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل : والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى . والعاشر : أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبى إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد .قال المصنف : هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيولى كان لم يزل ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفى دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لئلا يقع تشبيه ولهم تعبدات فى شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم

أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانى خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله إلثمان ليال يمضين من آذار وسبعة أيام أولها التسع يبقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرموا لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة . وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ هى دعاو بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف والإرشاد المصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغى أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا إليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على المجوس ﴾

قال يحي بن بشر بن عمير النهاوندى كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحانى ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال لا يتهيأ لغيرى أن يبتدع مثل هذه التى ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه . وكان مماسنه زرادشت عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهى التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحيى النبات والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيما لها ويقولون انها نشوء الحيوانات فلا نقذرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له وقالوا لأن به حياة كل شىء إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا يبزقون فيه ولا يرون قتل الهوام [illegible] ولا ينجسها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به

وإذا كان عتيقاً كان أكثر بركة ويستحلون فروج الأمهات قالوا الإبن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فإبنه أولى بالمرأة فإن لم يكن له إبن اكترى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة والف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته وأظهر هذا الأمر مزدك في أيام قباذ وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباذ لتقتدى به العامة فيفعلون في النساء مثله فلما بلغ إلى أم أنو شروان قال لقباذ أخرجها إلىّ فإنك إن منعتنى شهوتى لم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنو شروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجله بين يدى ابيه قباذ ويسأله أن يهب له أمه فقال قباذ لمزدك ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد أنوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى انوشروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المجوس أن الأرض لا نهاية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم .

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم . أنهم رأوا فى الأفعال خيراً وشرا فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ماذكرنا عن الثنوية .

قال المصنف: وقد سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم. البارى قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فيقال لهم إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من

يضادنى وكانت فكرته رديئة فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختى أن بعضهم قال أن الخالق شك فى شيء فكان الشيطان من ذلك الشك : قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال ابليس حتى خرق السماء بجنوده فهرب الرب عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم فاتبعه ابليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون ابليس وجنوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه ابليس إلى أن ينقضى الشرط فالناس فى بلايا إلى انقضائه ثم يعودون الى النعيم وشرط ابليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها فى هذا العالم وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما الى العدلين وقالا من نكث فاقتلاه فى هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبيس ابليس إليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة ابليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يفى الشيطان بما ضمن : فإن قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وإن قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير : وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الإله . وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه ابليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى ه

﴿ ذكر تلبيس ابليس على المنجمين وأصحاب الفلك ﴾

قال أبو محمد النوبختى ذهب قوم الى أن الفلك قديم لا صانع له : وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا زحل وحده قديم . وزعم قوم أن الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل . وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه : وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه الحجارة : وقال بعضهم هى من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل الفحم يشتعل وينطفىء . وقال

بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى. وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلاثين سنة والمشترى فى نحو من اثنى عشرة سنة والمريخ فى نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة والقمر فى ثلاثين يوما : وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبعة فالذى يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة : واختلفوا فى مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرما الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الأرض . والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مرة مثل الأرض . والمشترى نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الأرض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض . قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعة وستون فرسخاً. وقال بعضهم الفلك حى والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتعطى وتمنع على حسب طباعها من السعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وأنها حية فعالة .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على جاحدى البعث ﴾

قال المصنف : قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الإعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقة فى أعماق الأرض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى الأولى: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)[1] وقال فى الثانية : (أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ)[2]. وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم :

يخبرنا الرسول بأن سنحيي   وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر : (هو أبو العلاء المعرى) :

(١) سورة المؤمنون آية (٣٥ ـ ٣٦)   (٢) سورة السجدة آية (١٠)

حياة ثم موت ثم بعث   حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الأولى : أن ضعف المادة فى الثانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة : ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا من مادة سخيفة. فانه أخرج هذا الآدمى من نطفة ، والطاووس من البيضة المدرة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة . فالنظر ينبغى أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد . وبالنظر إلى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالأنموذج فى جمع التمزق فان سحالة (١) الذهب المتفرقة فى التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الإلهية التى من تأثيرها خلق كل شىء لا من شىء على أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت اليه الأبدان لم يصر بنفسه لأن الآدمى بنفسه لا ببدنه فانه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو : ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدى أنبيائه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيوانا وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدى عيسى صلوات الله وسلامه عليه . قال المصنف : وقد زدنا هذا شرحا فى الرد على الفلاسفة .

(فصل) وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا فى البعث فقال قائلهم (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا)(٢) وقال العاص بن وائل (لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا)(٣) وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم فى ذلك . فقالوا إن كان بعث فنحن على خير : لأن من أنعم علينا فى الدنيا بالمال لا يمنعناه فى الآخرة .

قال المصنف : وهذا غلط منهم لأنه لم لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجا أو عقوبة والإنسان قد يحمى ولده ويطلق فى الشهوات عبده .

---

(١) السحالة بالضم كالبرادة ماسقط من الذهب والفضة .

(٢) سورة الكهف آية (٣٦)   (٣) سورة مريم آية (٧٧)

﴿ ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ ﴾

قال المصنف : وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت فى أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل فى أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر فى زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخى) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أولا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى) أن الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة . فالمركبة هى الرب الأصغر والنفس هى الهيولى الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضاً أكبر وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة فان كانت محسنة صافية قبلها فى صحة فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر . فان كان محسناً تام الإحسان أقام عنده فى العالم البسيط وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر فيخرجه مازجاً لشعاع الشمس حتى ينتهى إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية فى العالم وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها. (وأما المسيئون) فانهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح فى بهيمة ثم تنسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخاً متردداً فى العلل : ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس . فان أحسن فى صورة الأنس لحق بالمحسنين .

قال المصنف: قلت فانظر إلى هذه التلبيسات التى رتبها لهم إبليس على ماعن له لايستند إلى شىء . أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزار قال أنبأنا على بن المحسن عن أبيه قال حدثنى أبو الحسن على بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بأبى بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع

ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكى بكاءاً شديداً فقلت لهم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكى كلما مسحتها هـذه أمى لا شك وإنما تبكى من رؤيتها إلىّ حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له فهى تفهم عنك ماتخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها قال لا قلت فأنت المنسوخ وهى الإنسان

﴿ ذكر تلبيس إبليس على أمتنا فى العقائد والديانات ﴾

قال المصنف : دخل إبليس على هذه الأمة فى عقائدها من طريقين: أحدهما التقليد للآباء والأسلاف . والثانى : الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط فأما الطريق الأول فان إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم : وقد ضل فى هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فان اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التى بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع فى ضلال . وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال عز وجل (بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ)(١)

المعنى اتبعونهم وقد قال عز وجل (إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ).(٢)

قال المصنف: أعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفى التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر . وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة . واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال : وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغى أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال على رضى الله عنه للحرث بن

(١) سورة الزخرف آية (٢٢ ، ٢٣) (٢) سورة الصافات آية (٦٩، ٧٠)

حوط وقد قال له أتظن انا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله ، وكان أحمد بن حنبل يقول : من ضيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلا ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول : زيد في الجد وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه « فان قال قائل » فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب – إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه في ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فانها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامي عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامي التقليد فيها لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامي في اختيار من يقلده .

قال المصنف : وأما الطريق الثاني : فان إبليس لما تمكن من الأغبياء فورطهم في التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقاً فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز . فساقهم إلى مذهب الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الإسلام وقد سبق ذكرهم في الرد على الفلاسفة . ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه . فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم فان قالوا نعم كابروا لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بغير الحواس . ناقضوا قولهم : ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن له الخوض في علم الكلام والنظر في أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام . وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وبعضهم إلى الإلحاد . ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعي رحمه الله لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . قال وإذا سمعت الرجل يقول الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له . قال وحكمي في علماء الكلام أن يضربوا

بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام : وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبداً علماء الكلام زنادقة .

قال المصنف : قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة إلى انهم قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها . وقال جهم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد النوبختى عن جهم أنه قال إن الله عز وجل ليس بشيء . وقال أبو على الجبائى وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شيء وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن البارى سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرض عرضاً ولا الجوهر جوهراً وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود .وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المعتبس قال:قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضر . قال ويبقى أهل الجنة جمودا سكوتاً لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شيء من ذلك .لأن الحوادث كلها لابد لها من آخر تنتهى إليه لا يكون بعده شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

قال المصنف : قلت وذكر أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمد البلخى فى كتاب المقالات . إن أبا الهذيل إسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضى حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره . وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هى الله . وقال أبو هاشم من تاب عن كل شيء إلا أنه شرب جرعة من خمر فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً. وقال النظام إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر . وقال هشام القوطى أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه . وقالت

المجبرة لاقدر للآدمى بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل . وقالت المرجئة إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار أصــــلا وخالفوا الأحاديث الصحاح فى إخراج الموحدين من النــار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الأرجاء زنديقاً فإن صلاح العالم باثبات الوعيد واعتقاد الجزاء ،فالمرجئة لمـا لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الإسلام .

قال المصنف : قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه وأجاز حلول الحوادث فى ذات البارى سبحانه وتعالى . وقال إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها . قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شىء فى معناه فيراه الآدمى آدمياً . والجنى جنيا . وقالوا الله سر لو أظهره لبطل التدبير .

قال المصنف : قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة: وقد زعم أرباب الكلام أنه لايتم الإيمان إلا بمعرفة مارتبوه وهؤلاء على الخطاء لأن الرسول ﷺ أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ماقد أشرنا إليه . وقد نقل إلينا أقلاع منطق المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله .

فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عبيد بن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال . كان الوليد بن أبان الكرابيسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى؟ قالوا، لا، قال: فتتهمونى، قالوا: لا قال فإنى أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنى رأيت الحق معهم وكان أبو المعالى الجوينى يقول لقد جلت أهل الإسلام جولة

وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت فى الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجوينى. وكان يقول لأصحابه يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغلت به . وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت . قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس فى قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التى انفرد بها ولا أخرج البارى من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور قال : وقد بالغت فى الأول طول عمرى ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق فى النظر لم يشهدوا ما يشفى العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم . وبيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان : ومعلوم أن للداعى عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهى إليه محتاجة فاذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعى وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفا بالغنى منعوتا بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا فى إنعامه رأيناه مشحونا بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فاذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله . وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فاذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى : وإنما دخل الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع

المضار على مقتضى قدرته : ولو مزجوا فى ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض.

﴿ فصل ﴾ وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم إن الله جسم تعالى الله عن ذلك : وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد ابن الخليل ويونس بن علدالرحمن . ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالأجسام . ومنهم من قال لا كالأجسام. ثم اختلفوا فنهم من قال هو نور ومنهم من قال هو على هيئة السبيكة البيضاء. هكذا كان يقول هشام بن الحكم وكان يقول إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأنه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه بالمرئى قلت ما أعجب إلا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين والآدمى طوله سبعة أشبار بشبر نفسه وذكر أبو محمد النوبختى عن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال فى التشبيه فى سنة واحدة خمسة أقاويل قطع فى آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار: فان قوماً قالوا انه على هيئة السبيكة وأن قوما قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التى من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام : هو متناهى الذات حتى قال إن الجبل أكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو .

قال المصنف : وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقر أن الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته أرادته ومتناهيه لا على معنى أنه ذاهب فى الجهات بلا نهاية : إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فيلزمه النهاية قال النوبختى وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحوارى يقولون إن الله صورة وأعضاء.

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف : ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فيدلك بذلك على أن الاله هو الذى اعتقدته جسما محدثاً غير قديم . ومن قول المجسمة ان الله عز وجل يجوز أن

يمس ويلمس : فيقال له فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه . وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلى يزعم ان معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء :

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول : لم يكن البارى قادراً حياً عالماً فى الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك . وقال داود الحوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك : ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسة فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبى صلى الله عليه وسلم ينزل الله إلى سماء الدنيا : قالوا ولا ينزل إلا من هو فوق . وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام : وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول إلى علم الأصول . وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن : فتراه يتنفس من الشقوق إليه ويمثل الزيادة فيزداد توقه ويتصور رفع الحجاب فيقاق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن إليه فيتخايل القرب الذاتى كما يجالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف . ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ويبقى وجه ربك وله يد وله أصبع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع السموات على أصبع وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس : وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله يريدون وجهه يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين إصبعين ان الأصبع لما كانت هى المقبلة للشىء وأن ما بين

الاصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة زائدة .

قال المصنف . والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزىء والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية ان الميت يأكل فى القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من أن أرواح المؤمنين وتجعل فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل . ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام والصدا والمكالمة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تفسدهم . وإنما لبس ابليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل . فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : فان قال قائل قد عبت طريق المقلدين فى الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس إبليس . فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس فى قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق . قال على كرم الله وجهه . والله ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن وأنه المسموع قوله عز وجل (حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ)(١) وأنه فى المصاحف لقوله عز وجل (فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ)(٢) ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم فى ذلك برأينا . وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث .

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام ثم يتكلم فى المسائل المحدثة . أخبرنا سعد الله بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أبو حامد أحمد بن أبى طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ ثنا محمد بن هرون الحضرمى ثنا القاسم بن العباس الشيبانى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار

(١) سورة التوبة آية (٦) (٢) سورة الطور آية (٣)

قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر . وقال مالك بن أنس من قال القرآن مخلوق فيستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه .

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أحمد بن علي الطريثيثي ناهبة الله الطبري ثنا محمد بن احمد القاسم ثنا احمد بن عثمان ثنا محمد بن ماهان ثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل: وسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبي في الكتاب والإعرابي واله عما سواهما قال ابن مهدي وثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي قال : قال: عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن احمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحي عن سفيان الثوري : قال بلغني عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل . واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته : واعلم أن من سن السنن قد علم مافي خلافها من الخطأ والزلل والتعمق فان السابقين الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد قد كفوا . وفي رواية أخرى عن عمر . وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فخفوه وطمح عنهم آخرون فعلوه .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن احمد نا احمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن حسان قال سمعت سفيان الثوري يقول عليكم بما عليه الحالون والنساء في البيوت والصبيان في الكتاب من الإقرار والعمل .

قال المصنف : فإن قال قائل هذا مقام عجز لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا . وقلنا إن الوقوف على العمل ضرورة لأن بلوغ ما يشفي العقل من التعليل لم يدركه من عاص من المتكلمين في البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الخوارج ﴾

قال المصنف: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا محمد بن فضيل ثنا عمارة بن القعقاع عن ابن أبى نعم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بعث على رضى الله عنه من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبة فى أديم مقروظ (١) لم تخلص من ترابها فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله ﷺ ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتىء الجبهة كث اللحية مشمر الأزار محلوق الرأس فقال اتق الله يا رسول الله فرفع رأسه إليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتقى الله أنا ثم أدبر فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ فلعله يكون يصلى فقال انه رب مصل يقول بلسانه ماليس فى قلبه فقال رسول الله ﷺ إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر إليه النبى ﷺ وهو مقف فقال انه سيخرج من ضئضىء (٢) هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

قال المصنف: هذا الرجل يقال له ذو الخويصرة التميمى وفى لفظ أنه قال له إعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فهذا أول خارجى خرج فى الإسلام وآفته انه رضى برأى نفسه ولو وقف لعلم انه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وذلك انه لما طالت الحرب بين معاوية وعلى رضى الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب على إلى ما فيها وقال. تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا. ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله عز

---

(١) المقروظ المدموغ بالقرظ. وفى نسخة لم تحصل أى تميز.

(٢) الضئضىء وهو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز، وهو أصل الشىء وروى بالمهملتين.

وجل : فقال الناس قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب على ابعث أبا موسى فقال على لا أرى أن أولى أبا موسى : هذا ابن عباس قالوا لا نريد رجلا منك فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان فقال عروة بن أذينة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم إلا لله : ورجع على من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء (١) فنزل بها منهم إثنا عشر ألفاً وقالوا لا حكم إلا لله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديهم أن أمير القتال شبيب بن ربعى التيمى وأمير الصلاة عبدالله بن الكوا اليشكرى . وكانت الخوارج تتعبد إلا أن إعتقادهم أنهم أعلم من على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهذا مرض صعب .

أخبرنا اسماعيل بن احمد نا محمد بن هبة الله الطبرى نا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبدالله بن جعفر بن درستويه نا يعقوب بن سفيان ثنى موسى بن مسعود ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن رميل قال: قال عبدالله بن عباس إنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على على بن أبى طالب فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فانى لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلى أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم . فقال إنى أخاف عليك . فقلت كلا وكنت رجلا حسن الخلق لا أؤذى أحداً فأذن لى فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم أرَ قط أشد منهم اجتهاداً . جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن (٢) الإبل . وعليهم قمص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا مرحباً بابن عباس ما جاء بك . فقلت أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم : فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشاً فان الله عز وجل

(١) حروراء : قرية بالعراق قريبة من الكوفة .

(٢) الثفن: جمع ثفنة ركبة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلظ من أثر البروك.

يقول (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)[1] فقال إثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد : وهم أعلم بتأويله . قالوا ثلاثاً : قلت هاتوا : قالوا أما أحداهن فانه حكم الرجال فى أمر الله . وقد قال الله عز وجل (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)[2] فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل . فقلت هذه واحدة وماذا : قالوا وأما الثانية فانه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فأن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل لنا سبيهم قلت وما الثالثة قالوا فانه محا عن نفسه أمير المؤمنين فانه إن لم يكن أمير المؤمنين فانه لأمير الكافرين . قلت هل عندكم غير هذا . قالوا كفانا هذا . قلت لهم أما قولكم حكم الرجال فى أمر الله أنا أقرأ عليكم فى كتاب الله ماينقض هذا . فاذا نقض قولكم أترجعون قالوا نعم قلت فان الله قد صير من حكمه إلى الرجال فى ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية (لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ)[3] إلى آخر الآية وفى المرأة وزوجها (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا)[4] إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وفى حقن دمائهم أفضل أم حكمهم فى أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضى الله تعالى عنها . فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الاسلام . ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الاسلام . فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)[5] أخرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبى ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلى رضى الله عنه أكتب لهم كتاباً فكتب لهم على . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون والله ما نعلم انك رسول الله لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إنك تعلم أنى رسول الله امح ياعلى . اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه .

(١) سورة الزخرف آية (٥٨)
(٢) سورة يوسف آية (٤٠)
(٣) سورة المائدة آية (٩٥)
(٤) سورة النساء آية (٣٥)
(٥) سورة الأحزاب آية (٦)

قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . اخبرنا ابو منصور القزاز نا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت نا ولاد بن علي الكوفي نا محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا احمد بن حازم ثنا احمد بن عبد الرحمن يعني ابن ابي ليلى ثنا سعيد بن جثيم عن القعقاع بن عمارة عن ابي الخليل عن ابي الشائعة عن جندب الأزدي . قال لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا إلى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن .

قال المصنف : وفي رواية أخرى أن عليا رضي الله عنه لما حكم أتاه من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فدخلا عليه فقالا له لا حكم إلا لله . فقال علي لا حكم إلا لله فقال له حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ماينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا . فكتب إليهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الأول . فكتبوا إليه إنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك . وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام ولقى الخوارج في طريقهم عبدالله بن خباب فقالوا هل سمعت من أبيك حديثاً تحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه قال نعم سمعت أبي يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول . قالوا أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله قال نعم فقدموه إلى شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل . وبقروا بطن أم ولده عما في بطنها وكانت حبلى ونزلوا تحت نخل مواقير نهروان فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها في فيه . فقال أحدهم أخذتها

بغير حدها وبغير ثمنها فلفظها من فيه . واخترط أحدهم سفيه فأخذ يهزه فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه فيه فقالوا هـذا فساد فى الأرض فلق صاحب الخنزير فأرضاه فى ثمنه . قال فبعث إليهم على رضى الله عنه أخرجو إلينا قاتل عبدالله بن خباب فقالوا كلنا قتله . فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول . فقال على رضى الله عنه لأصحابه دونكم القوم . فما لبثوا أن أن قتلوهم وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعض تهيأ للقاء الرب الرواح الرواح إلى الجنة ! وخرج على عليّ رضى الله عنه بعدهم جماعة منهم فبعث إليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبدالرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهراون فترحموا عليهم وقالوا والله ما قنعنا بالبقاء فى الدنيا شيء بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم فلو انا شرينا أنفسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال فثأرنا بهم إخواننا وأرحنا منهم العباد .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعدعن أشياخ له . فقالوا انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبدالرحمن بن ملجم والبرك بن عبدالله وعمرو ابن بكر التميمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة علياً ومعاوية وعمرو بن العاص ونريح العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلى وقال البرك انا لكم بمعاوية وقال عمر وأنا لكم بعمرو فتواثقوا الا ينقض رجل منهم رجلا عن صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة فلما كانت الليلة التى عزم على قتل على رضى الله عنه فيها خرج على رضى الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه . فقال على رضى الله عنه لا يفوتنكم الرجل فأخذ : فقالت أم كلثوم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين بأس قال فلم تبكين إذن ثم قال والله لقد سممته يعنى فإن أخلفنى فأبعده الله وأسحقه . فلما مات على رضى الله عنه أخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبدالله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم. فكحل عينيه بمسمار محمى . فلم يجزع وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه

لجزع . فقيل له لم تجزع فقال أكره أن أكون فى الدنيا مواتا لا أذكر الله وكان رجلا أسمر فى جبهته أثر السجود لعنة الله عليه .

قال المصنف : قلت ، ولما اراد الحسن رضى الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان . وقال أشركت كما أشرك أبوك ثم طعنه فى أصل فخذه . وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون نحن مشركون ما دمنا فى دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا ومخالفونا فى المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا فى القتال كفرة وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك وكان نجدة بن عامر الثقفى من القوم فخالف نافع بن الأزرق وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم : وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون فى غير نار جهنم وان جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه فى مذهبه : وقال إبراهيم الخوارج قوم كفار وتحل لنا مناكحتهم وموارثتهم كما كان الناس فى بدء الإسلام . وكان بعضهم يقول لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار . لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار .

قال المصنف : ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لم أر التطويل بذكرها وإنما المقصود النظر فى حيل ابليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وأنهم على الصواب . واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها وتعبوا فى العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر . واستحل قتل على كرم الله وجهه ، ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فما عدلت وما كان ابليس ليهتدى إلى هذه المخازى نعوذ بالله من الخذلان .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن

أحمد ابن حنبل ثنى أبى قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحى بن سعيد عن محمد ابن ابراهيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة (١) . أخرجاه فى الصحيحين .

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطريثيثى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا احمد بن عبيد ثنا على بن عبد الله بن مبشر ثنا احمد بن سنان ثنا اسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبى أوفى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب أهل النار .

(فصل) قال المصنف : ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الأمامة بشخص إلا ان يجتمع فيه العلم والزهد فإذا اجتمعا كان إماماً نبطياً (٢) ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى واصل بن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد . وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون . وأول مسألة اظهروها القول بخلق القرآن . وحينئذ سمى هذا الفصل فصل علم الكلام . وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . فقال قوم هى معانى زائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته . وكان أبو الحسن الأشعرى على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه إلى مثبتى الصفات . ثم أخذ

---

(١) الرمية: الصيد الذى ترميه فينفذ فيه السهم .

(٢) النبطى : نسبة إلى النبط بفتحتين أخلاط الناس وأوباشهم .

بعض مثبتى الصفات فى اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء

﴿ ذكر تلبيسه على الرافضة ﴾

قال المصنف . وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على ابن أبى طالب. حمل آخرين على الغلو فى حبه . فزادوه على الحد فنهم من كان يقول هو الآله : ومنهم من يقول هو خير من الأنبياء . ومنهم من حمله على سب أبى بكر وعمر حتى إن بعضهم كفر أبا بكر وعمر الى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها . وإنما نشير الى بعضها .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت قال حدث أبو يعقوب إسحق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد بن عائشة وأبى عثمان المازنى وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى يقول إسحق ابن محمد النخعى الأحمر كان يقول : إن علياً هو الله : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالاسحاقية ينسبون اليه : قال الخطيب ووقع الى كتاب لأبى محمد الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة : وكان النوبختى هذا من متكلمى الشيعة الأمامية : فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال وقد كان ممن جرد الجنون فى الغلو فى عصرنا إسحق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل : وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين : وهو الذى بعث محمداً ﷺ .

قال المصنف . قلت : وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين : وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ : ومنهم من يقول بالتبرى من غير على . وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرى ممن خالف علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة : ومنهم أقوام قالوا الامامة فى موسى بن جعفر ثم فى إبنه على ثم إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم الى الحسن بن محمد العسكرى ثم الى إبنه محمد وهو الإمام الثانى عشر الإمام المنتظر الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا : وكان أبو منصور العجلى يقول بانتظار محمد بن على

الباقر ويدعى أنه خليفة . وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب بيده على رأسه . وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الإله دارت فى أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله وأنه لم يمت : وهو المنتظر : ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة على فى النبوة . وطائفة يقال لها المفوضة يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم اليه . وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على على فنزل على محمد : ومنهم من يقول أن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها . وقد روينا على السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على رضى الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه . فقال يا أمير المؤمنين أعدنى على من ظلمنى قال ومن ظلمك قال أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة قال ودام على ظلمكم قال نعم . قال ومن قال بعده قال عمر رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم ومن قام بعده قال عثمان رضى الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم . قال ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب إليه .

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة وذلك أن الذى جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا وإنما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم . فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فاذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة وابنته فى إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى المتوفى . فان الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما فى أهليهم وذريتهم . فاذا قالت الرافضة أن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع . لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم . فاذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا فى المنقول . وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول . ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق

على دينه إلا الأقل من أهله . فطاحت الاعتقادات . وضعفت النفوس . عن قبول الروايات فى الأصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

قال المصنف . وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات . منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صلاة العصر فردت له الشمس . وهذا من حيث النقل موضوع : لم يروه ثقة ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت . وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفى بذلك الغسل . وهذا من حيث النقل كذب . ومن حيث المعنى قلة فهم . لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لايسندونها إلى مستند . ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الإجماع . فقلت منها مسائل من خط ابن عقيل . قال نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الامامية . منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن الاستجمار لا يجزىء فى البول بل فى الغائط خاصة . ولا يجزىء مسح الرأس إلا بباقى البلل الذى فى اليد فان استأنف للرأس بللا مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة . وانفردوا بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحل للزانى بها بنكاح أبداً . وحرموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لايقع وإن وجد شرطه . وأن الطلاق لايقع إلا بحضور شاهدين عدلين . وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه اذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط . وأن المرأة اذا جزت شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ . وأن من شق ثوبه فى موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين . وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لايعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وأن شارب الخمر اذا حد ثانية قتل فى الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر ، وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فان سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى . فان سرق الثالثة خلد فى الحبس إلى أن يموت .

وحرموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب . واشترطوا فى الذبح استقبال القبلة . فى مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجه لايستندون فيه إلى أثر ولاقياس . بل إلى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى . وقد حرموا الصلاة لكونهم لايغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة .

وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه .

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قالا أخبرنا محمد بن احمد ابن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوى ثنا محمد بن عباد المكى ثنا محمد ابن طلحة المدينى عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله اختارنى واختار لى أصحاباً فجعل لى منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولاعدلا .

قال المصنف . والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة ، أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا عبيد الله بن محمد بن احمد نا على بن محمد بن احمد بن يزيد الرياحى ثنا أبى ثنا الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سويد بن غفلة قال مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على على بن أبى طالب فقلت يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بغير الذى هما له أهل ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك . قال على . أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذى ائتمننى النبى عليه . لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل أخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العينين يبكى قابضاً على يدى حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهى بيضاء حتى اجتمع لنا الناس : ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة . ثم قال ما بال أقوام يذكرون

. سيدى قريش وأبوى المسلمون مما أنا عنه متنزه . ومما قالوه برىء . وعلى ما قالوا معاقب أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لايحبهما إلامؤمن تقى ولا يبغضهما إلا فاجر شقى صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما . ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما . ومضيا والمؤمنون عنهما راضون . أمره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام فى حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده . ولاه المؤمنون ذلك . وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين . وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك . وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة واسنه ورعاً واقدمه سناً واسلاما ، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة ورحمة وبابراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه . ثم ولى الأمر بعده عمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى . فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه . يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل اثر امه وكان والله رفيقا رحيما بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين . لايأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه : حتى ان كنا لنظن ان ملكا ينطق على لسانه اعز الله باسلامه الإسلام . وجعل هجرته للدين قواما وألقى له فى قلوب المنافقين الرهبة . وفى قلوب المؤمنين المحبة . شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظا غليظا على الأعداء . فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن احبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد ابغضنى وانا منه برىء . ولو كنت تقدمت إليكم فى امرهما لعاقبت فى هذا اشد العقوبة إلا فمن اوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفترى . إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله اعلم بالخير اين هو . اقول قولى واستغفر الله لى ولكم .

أخبرنا سعد الله بن علي نا الطريثيثي نا هبة الله الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوي ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن ابي خباب الكلبي عن أبي سليمان الهمداني عن علي كرم الله وجهه قال يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فانهم مشركون .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الباطنية ﴾

قال المصنف : الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة فحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم . بل يزعمون أن الله حق وان محمداً رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء .

﴿ الاسم الأول الباطنية ﴾ سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية وهي عند العقلاء رموز واشارات إلى حقائق خفية وان من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها كان تحت الاغلال التي هي تكليفات الشرع . ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)(١) ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع .

﴿ الاسم الثاني الاسماعيلية ﴾ نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل ابن جعفر ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه . لأنه سابع . واحتجوا بأن السموات سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة . فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة . وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧

عبد الله ثم ابنه على ثم ابنه محمد بن على ثم ابراهيم ثم السفاح ثم المنصور. وذكر أبو جعفر الطبرى فى تاريخه قال: قال على بن محمد عن أبيه إن رجلا من الراونديه كان يقال له الابلق وكان أبرص. فبكى بالعلو ودعا الراوندية اليه وزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم فى الأئمة واحداً بعد واحد إلى أن صارت إلى ابراهيم ابن محمد. واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته. فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم. فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس فى السلاح وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت.

﴿الاسم الثالث السبعية﴾ لقبوا بذلك لأمرين، أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة على ما بينا وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الادوار وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له، والثانى لقولهم أن تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة: زحل ثم المشترى ثم المريخ. ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد. ثم القمر.

﴿الاسم الرابع البابكية﴾ قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمى وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زنا فظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة احدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمرهم واستباح المحظورات وكان اذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة أو أختاً جميلة طلبها فان بعثها اليه وإلا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقيل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان [1] وحاربه السلطان وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم أفشين فحاربه فجاء ببابك وأخيه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه يابابك قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد. فقال سترى صبرى فأمر

---

(١) وفى نسخة فقتل مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان.

المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت في الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا . ولكني لما قطعت أطرافي نزف الدم . فخفت أن يقال عني إنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بي فسترت وجهي بالدم كيلا يرى ذلك مني . ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقي من البابكية جماعة يقال ان لهم ليلة في السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهضون للنساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأة ويزعمون أن من احتوى على امرأة يستحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح .

﴿ الاسم الخامس المحمرة ﴾ قال المصنف : سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها .

﴿ الاسم السادس القرامطة ﴾ قال المصنف وللمؤرخين في سبب تسميتهم بهذا قولان : أحدهما أن رجلا من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى أمام من أهل بيت الرسول ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميتة لقب بهذا لحمرة عينية وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه . فلما طلب فلم يوجد زاد أفتتان النـــاس به فخرج إلى الشام فسمى كرميتة باسم الذي كان نازلا عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده . والثاني أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا قرامطه وقرمطية وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في فريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها . فقال حمدان لذلك الراعي وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب فقال أني لم أؤمر بذلك فقال وكأنك لا تعمل إلا بأمر قال نعم قال وبأمر من تعمل قال بأمر مالكي ومالكك ومالك الدنيا

والآخرة . فقال ذلك اذن هو الله رب العالمين . فقال صدقت قال له فما غرضك فى هذه القرية التى تقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة . وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد : فقال له حمدان انقذنى أنقذك الله وأفض على من العلم ما تحيينى به فما أشد احتياجى إلى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه . فقال اذكر عهدك فانى ملتزم به فقال له أن تجعل لى وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الامام الذى ألقيه إليك ولا تفشى سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعى فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية . ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف . وفتك بالحاج وسنى لأهله وأصحابه سننا وأخبرهم بمحالات . وكان إذا قاتل يقول وعدت النصر فى هذه الساعة . فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص . وقالوا إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرساً وخلعه ثياب وسلاحا وقد سول ابليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكبا وان لم يكن له فرس حشر ماشيا . وكان أصحاب أبى سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ فاذا سمعوا من يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون أتأكل رزق أبى سعيد وتصلى على أبى القاسم . وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الأسود فحمله إلى بلده واوهم الناس انه الله عز وجل

﴿ الاسم السابع الخرمية ﴾ وخرم [1] لفظ اعجمى ينبى عن الشىء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان له . ومقصود هذا الأسم تسليط

(١) خرم بضم الخاء وتشديد الراء مفتوحة بوزن سكر صفة مشبهة بالفارسى بمعنى جذلان ومسرور

الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الأسم لقباً للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس الذين تبعوا فى أيام قباذ وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم اياهم فى نهاية هذا المذهب وان خالفوهم فى مقدماته .

(الاسم الثامن التعليمية) لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم أبطال الرأى وافساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الأمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم .

(فصل) فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة قال المصنف اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة فى إستنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى اخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من انكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء مخرقون ومنمسون (١) ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار فى الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أزكاهم عقلا وأسخفهم رأيا وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب إليهم ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا اليهم الشريعة فاذا هان اولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين فان بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحمق وانما الفطنة فى اعتقاد بواطنها ثم نبث اليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فاذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق . ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ . والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله

---

(١) مخرقون: أى مكذبون مموهون ومنمسون أى ملبسون على الناس الحق بالباطل .

عز وجل : ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسماه بالعصمة : فان قرب الدار يهتك الأستار . وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الامام أو يطلع على حقيقة أمره . وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على اموال الناس : والانتقال منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وللقوم حيل فى استذلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه . فاذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه : فان كان مائلا الى الزهد دعوه إلى الأمانه والصدق وترك الشهوات . وان كان مائلا إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله . وان الورع حماقة وإنما الفطنة فى اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية . ويثبتون عند كل ذى مذهب مايليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة و أولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الأسلام أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله . أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق . او رافضى يتدين بسبب الصحابة رضى الله عنهم . أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات . وثقل عليه التكليف .

﴿ فصل ﴾ فى ذكر نبذة من مذاهبهم . قال أبو حامد الطوسى الباطنية قوم يدعون الأسلام ويميلون إلى الرفض . وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام . فمن مذهبهم القول بآلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى. قالوا . والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول . ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى وهو أول مبدع . ثم حديث النفس الكلية . وعندهم أن النبى عليه السلام عبارة عن شخص (١) فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية . وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص . واتفقوا

(١) ومن هذا القول الفاسد انتحل البهائيون مذهبهم فضلوا وأضلوا .

على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر مساو للنبي عليه السلام فى العصمة . وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشيء إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها . وأما التكليف . فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لابد الانسان من التكليف . فاذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف . ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا : فقالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر . ومعنى الغسل . تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد : والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هى النبى . والباب على . والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته . ونار ابراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة . وذبح اسحاق معناه أخذ العهد عليه . وعصى موسى حجته ، ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسي . والمقداد . وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى إبليس : عمر بن الخطاب . فى خرافات ينبغى أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فان اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الأشياء التى تذكرونها عن ضرورة . أو عن نظر . أو عن نقل عن الإمام المعصوم . فان قلتم ضرورة . فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة . ولو ساغ للانسان أن يهذى بدعوى الضرورة فى كل مايهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة فى نقض ما ادعاه . وان قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل . لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها ، وان قلتم عن إمام معصوم قلنا فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد ﷺ مع المعجزات . ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر . ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها . فان قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم . وان قالوا يجب إخفاؤها

قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه . قال ابن عقيل هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية . فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شىء إلا وقد وضعوا وراءه معنى . حتى أسقطوا إيجاب الوجب . والنهى عن المنهى . وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله . فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه . والحق بين المنزلتين . وهو أن تأخذ بالظاهر مالم يصرفنا عنه دليل . وترفض كل باطن لايشهد به دليل من أدلة الشرع .

قال المصنف . ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكا معه طريق العلم . بل التوبيخ والإزدراء على عقله وعقول أتباعه . بأن أقول أن الآمال طرقا تسلك ووجوها توصل . ووضع الأمل فى جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التى قد طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التى تتظاهرون بها . وتطمعون فى إفسادها قد تمكنت تمكنا يكون الطمع فى تحقيقها فضلا عن إزالتها حمقاً . فلها يجمع كل سنة بعرفة ويجمع كل أسبوع فى الجوامع ويجمع كل يوم فى المساجد . فتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتحقيق هذا الأمر الظاهر : فى الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وغاية ما أنتم عليه حديث فى خلوة : أو متقدم فى قلعة : ان نبس بكلمة رمى رأسه وقتل قتل الكلاب فتى يحدث العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلى الذى طبق البلاد فما أعرف أحمق منكم إلى أن يجىء إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفاً وتتبعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من الآلى المحفور وكتب بذلك كتاب إلى الخليفة : فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب : وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا . وصار كل من فى نفسه شىء من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه وينتهب ماله . وأول

ما عرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة . ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم. ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم بأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان نجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك . وكانوا يقولون قتلتم منا نجاراً فقتلنا به نظام الملك . واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملكشاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه فى البئر. وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه . وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير. فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا. فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة . وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار ، فاذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فاذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون فى طلبهم باصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروزباد من نواحى الديلم وكانت هذه القلعة لقماج صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهما بمذهب القوم . فأخذ ألفاً ومائتى دينار وسلم اليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرازق ابن بهرام إذ كان صبيا ثم إلى مصر وتلقى من دعاتهم المذاهب وعاد داعية القوم ورأسا فيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو إلا غبيا لا يفرق بين يمينه وشماله مثلا ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حينئذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه ، ثم يقول إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى قتال بنى أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف ، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء ، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه ، ثم قال لجماعة

وقوف بين يديه أريد أن أنقذكم إلى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها فاشرأب كل منهم لذلك، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم ، فأومأ إلى شاب منهم فقال له أقتل نفسك فجذب سكينة وضربها بها غلصمته (١) فخر ميتاً وقال لآخر إرم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق ، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندى من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء قال المصنف : وقد ذكرنا من صفة القوم فى التاريخ أحوالا عجيبة فلم نر التطويل بها هنا.

﴿ فصل ﴾ وكم من زنديق فى قلبه حقد على الاسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلق بها من يصحبه : وكان غور مقصده فى الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين . وفى العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات : فمنهم بابك الخرّمى حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ فى الأذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك : فنهب وفتك وقتل وبالغ وكانت عواقبهم فى الدنيا أقبح العواقب فما وفى ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعثيره ففاته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندى والمعرى . أنبأنا محمد بن أبى طاهر عن أبى القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال كان بن الراوندى ملازم الرافضة وأهل الإلحاد فاذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر. قال المصنف : من تأمل حال (٢) بن الراوندى وجده من كبار الملحدة

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتىء فى الحلق والجمع غلاصم .

(٢) ومن تتبع شعر أبى العلاء المعرى، وسيرة ابن الراوندى، علم أنهما على جانب عظيم من الإلحاد والزندقة إلا أن المعرى يتستر كثيراً بخلاف ابن الراوندى وقد ظهر فى زماننا بعض من يمذهب بمذهبهما، وانفرد الأعمى المتفلسف يؤلف فى سيرة أبى العلاء المعرى ، ويرغب الناس فى مذهبه وشعره، ويروج مؤلفاته وينشرها بين الناس للإضلال ، وقد سرى هذا المذهب إليهم من رحلتهم إلى =

وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمغه فأخذه وهو فى شرخ الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة : وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن وأما أبو العلاء المعرى فأشعاره ظاهرة الإلحاد : وكان يبالغ فى عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً فى تعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه. وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمدالله. فليس إلا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدراً. وأردأهم عيشاً وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق.



= مدارس أوروبا ، وتلقيهم العلوم الفلسفية عن أعداء الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . كلا والله ، إنهم لفى سكرتهم يعمهون ، وفى شقاوتهم يسبحون، وللخذلان أنفسهم يعملون ولا يعلمون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الباب السادس

في ذكر تلبيس ابليس على العلماء في فنون العلم



قال المصنف : إعلم أن إبليس يدخل على الناس فى التلبيس من طرق منها ظاهر الأمر . ولكن يغلب الانسان فى إيثار هواه فيغمض على علم بذلك . ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء . ونحن نشير إلى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم .

﴿ ذكر تلبيسه على القراء ﴾ فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراآت الشاذة وتحصيلها فيفنى أكثر عمره فى جمعها ، وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للاقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة ، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدى العلماء ويأخذ عنهم العلم (١) ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع ، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم ، قال الحسن البصرى أنزل القرآن ليعمل به . فاتخذ الناس تلاوته عملا . يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به . ومن ذلك أن أحدهم يقرأ فى محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور . والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن . ومنهم من يجمع القراآت فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه إخراج للقرآن عن نظمه . ومنهم من يجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك مكروه . وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريهم إبليس أن فى هذا إعزازاً للاسلام . وهذا تلبيس عظيم لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع . ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء

---

(١) وفى نسخة وربما حمله حب التصدر حتى اجترىء بعين الجهل على أن يجيب فى فتوى بما يقع له وإن لم يجز فى مذهبه .

القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له اجازة منه . فقال أخبرنا تدليسا وهو يرى أن الأمر فى ذلك قريب لكونه يروى القراآت ويراها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين . ومن ذلك أن المقرىء المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان . وقد كان بعض المحققين يقول ينبغى أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصا ويقرأ فى النهار الطويل ثلاث ختمات فان قصر عيب وإن أتم مدح . وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة ويريهم ابليس أن فى كثرة التلاوة ثوابا . وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغى أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها . وينبغى أن تكون على تمهل . وقال عز وجل ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾(١) وقال عز وجل ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾(٢) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت إلى حد قريب . وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو على الحسين بن سعد الهمذانى نا أبو بكر أحمد بن على بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحى ثنا الربيع بن سليمان قال قال الشافعى أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت .

قال المصنف وقلت إنما أشار الشافعى إلى ما كان فى زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغانى وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته . فان أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام . لو جعل القرآن فى إهاب ما احترق . وذلك من تلبيس ابليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من

(١) سورة الأسراء آية (١٠٦)

(٢) سورة المزمل آية (٤)

عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارىء لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر. قال الله عز وجل: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ[1]) وقال فى أزواج رسول الله ﷺ (مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ)[2].

وقد أخبرنا أحمد بن احمد المتوكلى نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو الحسن ابن زرقويه نا اسماعيل الصفار ثنا زكريا بن يحيى ثنا معروف الكرخى قال قال بكر بن خبيش : إن فى جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات . وإن فى الوادى لجبا يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات . وإن فى الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أى رب يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان . فقيل لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم . قال المصنف فلنقتصر على هذا الأنموذج فيما يتعلق بالقراء .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على أصحاب الحديث ﴾

من ذلك أن قوما استغرقوا أعمارهم فى سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن ابليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد فى أداء اللازم والتفقه فى الحديث (فان قال قائل) فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المدينى والبخارى ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك

---

(١) سورة الرعد آية (١٩)

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٠)

قصر الاسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للامرين فأما فى هـذا الزمان فان طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما فى هذا الكتاب فى تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدرى ما فيها ولو وقعت له حادثة فى صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهه الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا : زوامل أسفار لا يدرون ما معهم . فان أفلح أحدهم ونظر فى حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامى الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا إذا فضل عنا ماء فى بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله . فما فهم القارىء ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا . قال الخطابى : وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام ، قال وأخبرنى أنه بقى أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له إنما هو الحلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة . فقال قد فرجت على وكان من الصالحين . وقد كان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال سمعت البرقانى يقول قال أبو بكر الأبهرى الفقيه قال كنت عند يحيى بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأة فقالت : أيها الشيخ ما تقول فى بئر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس . فقال يحيى ويحك . كيف سقطت الدجاجة إلى البئر . قالت : لم تكن البئر مغطاة . فقال يحيى : ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شىء . قال الأبهرى فقلت يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر .

قال المصنف : وكان ابن شاهين قد صنف فى الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئا وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب فى الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى .

وأنبأنا محمد بن أبى منصور نا أحمد بن الحسين بن حبرون نا احمد بن محمد العتيق نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن اسحاق الجلاب ثنا ابراهيم الحربى قال بلغنى أن امرأة جاءت إلى على بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له : حلفت بصدقة إزارى فقال لها بكم اشتريتيه قالت باثنين وعشرين درهما قال اذهبى فصومى اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول آه . آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

قال المصنف : قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط . واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ماتعلق من صفات البارى سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا فى زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل . ومنهم من لايحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس إبليس .

القسم الثانى قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولى من الأسانيد ما ليس لغيرى وعندى أحاديث ليست عند غيرى . وقد كان دخل الينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده فى الرقة وهى البستان الذى على شاطىء دجلة فيقرأ عليه ويقول فى مجموعاته حدثنى فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة التى بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الأسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان فى طلب الحديث . وكان يقول حدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه فى طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب .

قال المصنف : وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك فى مشيخته فحسب

ومن تلبيس ابليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلباً للتشفى ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المدينى يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفى حديث الشيخ ما فيه . اخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه ثنا بكر أن بن أحمد الجيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول : سألت حارثاً المحاسبى عن الغيبة فقال احذرها فانها شر مكتسب وما ظنك بشىء يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيا... من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها و... منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس . ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانه فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته .

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء فى ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له

وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلي بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه . ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » وقد روى عن النبي ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة.

ومن تلبيس ابليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال ﷺ من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين . ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع فى مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فيعمى اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به فأما إذا كان المروى عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه فى مرتبة الراوى فيستحى الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله الموفق

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الفقهاء ﴾

قال المصنف : كان الفقهاء فى قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يدرى أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شىء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى تعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت

السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الاسلام .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهمّ أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم بادخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة ﴾

واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر . وان استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث . ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه . ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير . وهى محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة . ومسائل الخلاف وان كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب . ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فاذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم . فاذا نظر فى سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له قلبي أحب إلىّ من مائة قضية من قضايا شريح . وأنما قال هذا لأن رقة القلب مقصودة ولها أسباب . ومن ذلك أنهم اقتصروا

على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المفتي يسأل عن آية أو حديث فلا يدري. وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير.
ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب. وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل واذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها. فقيل له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لا يلزمني ذكر ذلك. ولقد صدق في أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل. بل في باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه. وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق. وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق. وقد قال الشافعي رحمه الله ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقط من عيني. ولا قبلها إلا هبته: وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت اليه. ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من حب الرياسة فاذا رأى أحدهم في كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم: تكلمت مع فلان فما قال شيئاً. ويتكلم بما يوجب التشفي من غرض خصمه بتلك الحجة. ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى.

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبري ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبدالله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبي ليلى.

قال . أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضاً . يقول أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

قال المصنف : وقد روينا عن إبراهيم النخعى أن رجلا سأله عن مسألة فقال . ما وجدت من تسأله غيرى . وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال . ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى . فقالوا نعم . فقيل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت . وقال رجل لاحمد بن حنبل : إنى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك .

قال المصنف . وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرتهم تأدب .

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء . مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه . الأول الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى . والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلاناً الفقيه لا يبرح عنده . والثالث الفقيه فانه يفسد دينه بذلك .

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول انما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان . ومن تلبيس إبليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وان كانت من شبهة فتركها أولى وان كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إنفاقه فى إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام

بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح .

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء . ينقطعون على السلطان إقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس . وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم . وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول : ما أخاف من إهانتهم لى انما أخاف من إكرامهم فيميل قلبى اليهم . وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للامراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم . ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل . ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء : أن أحدهم يأكل من رقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم الا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فان شغله دائم ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى. وسبب انبساط هؤلاء مختلف . فمنهم من يكون فاسد العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه لبستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر . ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجب وإنما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس

عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد. ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقيه ومفت والعلم يدفع عن أربابه وهيهات فان العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء. وقد قال الحسن البصرى: إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل. قال ابن عقيل: رأيت فقيها خراسانيا عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له. ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شماتة الأعداء بك ان كنت مسلماً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك البسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين. خلع عليك السلطان فانخلعت به من الايمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هو نتم أمره هكذا لتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تحت تحنتك لأن عدوانك دليل على فساد باطنك.

ومن تلبيسه عليهم: أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع. والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ»(1) وقال. فَاقْصُصِ الْقَصَصَ»(2) وإنما ذم القصاص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده. وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقاً ويوجب وعظا فهو ممدوح وقد كان احمد بن حنبل يقول: ما أحوج الناس إلى قاص صدوق.

﴿ ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص ﴾

قال المصنف. كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء. وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه. وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص. ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن.

(1) سورة يوسف آية (3) (2) سورة الأعراف آية (176)

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين . إلا أنا نذكر هنا جملة فن ذلك : أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم إبليس : بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتمة ثم نسوا قوله ﷺ من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق . ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الاشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونه بحب الهوى فيضل القاص ويضل . ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة . ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه . ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز . ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء ويذكر الغربة ومن مات غريباً فيبكى بها النساء ويصير المكان كالمأتم وإنما ينبغى أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع ، ومنهم من يتكلم فى دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه إبليس : إنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق . وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم . ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر فى مجلسه الصياح ولو على كلام فاسد . وكم منهم من يزوق

عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم فى موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيهات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف . ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم . ومنهم من يتكلم فى الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصى ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله .

﴿ فصل ﴾ وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا أن منهم من شرب الرئاسة فى قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق .

﴿ فصل ﴾ ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر فى زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمنحون به الأمراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به فى البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكى النسوة ولا يحث على الصبر .

﴿ فصل ﴾ وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول انك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة . فربما دخل الرياء فى قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال . كان الحسن فى مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أوهناك

أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت . فأعجبني . قال ثم تكلم الحسن وانا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر.

(ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب)

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة مايلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب . وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه . فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فان الانسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى إلى العمل بها إذ هي مرادة لغيرها . فترى الانسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه . ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنكم من علماء الاسلام لأن النحو واللغة من علوم الاسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمري أن هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج اليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لايحتاج اليه وإنفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس بهم مع ترك المهم غلط وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن . ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنا . ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل.

(فصل) ومما ظنوه صواباً وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال : قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء قال : نعم . قال والإشهاد أن يمذى الرجل .

قال المصنف : وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول : المستفتي . ماتقول : في وطء الرجل زوجته في قرئها . فان القرء يقع عند اللغويين على الاطهار وعلى الحيض . فيقول الفقيه : يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ . وكذلك لو قال السائل. هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر. لم يجز إطلاق الجواب.

فاذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل فى المحتملات والثانى أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر . وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل .

﴿ فصل ﴾ ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صاداً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع إلى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبث فقل أن ترى منهم متشاغلا بالتقوى أو ناظراً فى مطعم فان النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو على الفارسى فى ظل عضد الدولة وغيره . وقد يظنون جواز الشىء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبى اسحاق ابراهيم بن السرى . قال : كنت أؤدب القاسم بن عبدالله فأقول له إن بلغت إلى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بى : فيقول : ما أحببت. فأقول له : أن تعطينى عشرين ألف دينار . وكانت غاية أمنيتى فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتى له . وقد صرت نديمه فدعتنى نفسى إلى إذكاره بالوعد ثم هبته . فلما كان فى اليوم الثالث من وزارته قال لى : يا أبا اسحاق . لم أرك أذكرتنى بالنذر . فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق . فقال لى: إنه المعتضد . ولولاه ما تعاظمنى دفع ذلك اليك فى مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث فاسمح بأخذه متفرقا . فقلت إفعل . فقال . اجلس للناس وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالا إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوى كذا وكذا فاستزد فاراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدونى حتى أبلغ الحد الذى رسمه . قال. فعرضت عليه شيئاً عظيما فحصل عندى عشرون ألف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة . فقال لى بعد شهور . يا أبا اسحاق حصل مال النذر: فقلت . لا فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفا من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف المال . وسألنى يوماً فاستحييت

من الكذب المتصل . فقلت . قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك . قال ثم أخذ الدواة ووقع لى إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى فأومأ إلىّ هات ما معك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال يا سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدو ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى أو تغير رتبتك أعرض علىّ رسمك وخذ بلا حساب . فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت مالى هذا .

قال المصنف : أنظروا ما يصنع قلة الفقه فان هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه وتبجح به . فان إيصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الشعراء ﴾

قال المصنف : وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم . فتراهم يهيمون فى كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالواحش . وأقل أحوالهم . أن الشاعر يمدح الانسان فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين . وجميع ذلك من جنس المصادرة . وترى خلقاً من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير . والكذب فى المدح خارجا عن الحد . ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك . ويقول أحدهم : اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا — هيهات هيهات ليس الأدب إلا مع الله عز وجل

باستعمال التقوى له . ولا قدر للفطن فى أمور الدنيا ولا بحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه . وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا فى لوم الأقدار كقول بعضهم :

لئن سمت همتى فى الفضل عالية   فان حظى ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بى ما لا أسر به   وكم يسىء زمان جائر حنق

وقد نسى هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الكاملين من العلماء ﴾

قال المصنف : إن أقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك . فأتاهم ابليس بخفى التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم . فنهم من يستفزه لطول عنائه فى الطلب فحسن له اللذات وقال له إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك فى مشتهاها . فان وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة . وأورد عليه فضل العلماء . فان خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك وإن وفق فينبغى له أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه . أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى . وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه . والثانى أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وحكايته ﷺ عن رجل يلقى فى النار فتندلق أقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه وقول أبى الدرداء رضى الله عنه ويل لمن يعلم مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات . والثالث أن يذكر له عقاب من هالك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كابليس وبلعام . ويكفى فى ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى «كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»[1] .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من

(1) سورة الجمعة آية (٥)

جهة أخرى . فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم . وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ — وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر فى اثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لايدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجه بها . ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين استحقر نفسه فلم يتكبر . ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد .

وقد يدخل ابليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لانكم نواب الشرع فانكم تطلبون اعزاز الدين ودحض اهل البدع واطلاقكم اللسان فى الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من من اقتدائهم بقوله إذا وصف .

وكشف هذا التلبيس : أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد فى المجلس فوقه أو قل حاسد عنه شيئا لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم . وأما الرياء فلاعذر فيه لأحد ولايصلح أن يجعل طريقا لدعاية الناس وقد كان أيوب السختيانى إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال . ما أشد الزكام ، وبعد هذا فالأعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه . وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه . أحدها الفرح فانه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب . والثانى لسروره بثلب المسلمين . والثالث أنه لاينكر .

— فصل — وقد لبس ابليس على الكاملين فى العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم فى تصانيف العلوم ويريهم ابليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف .

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه

أو قرئت على نظيره فى العلم فرح بذلك ان كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف مامن علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إلىّ ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه. وماهذه صفة المخلص فى التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فاذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر . وقد ذكرنا آنفاً حديث بن أبى ليلى ونعيده بإسناد (١) آخر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال أدركت عشرين ومائة منّ أصحاب النبى ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفى من تلبيسه . بأن يقول له . مالقيت مثلك ما أعرفك بداخلى وبخارجى فان سكن إلى هذا هلك بالعجب وان سلم من المسالمة له سلم . وقد قال السرى السقطى : لو أن رجلا دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولىّ الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان فى أيديها أسيراً : والله الهادى لا إله إلا هو .

---

(١) كذا فى الأصول بدون ذكر السند .

الباب السابع

فى تلبيس ابليس على الولاة والسلاطين



قال المصنف : قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها . فالوجه الأول أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولاجعلهم نواباً عنه في عباده . وينكشف هذا التلبيس بأنهم ان كانوا نواباً عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه . فحينئذ يحبهم لطاعته . فأما صورة الملك والسلطنة فانه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر اليه . وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم . ودخل ذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾(1) والثاني أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فاذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك . والثالث أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل اليهم أهل المظالم . ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم . وقد روى أبو مريم الأسدى عن النبي ﷺ . قال : من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره . والرابع أنهم يستعملون من لايصلح ممن لاعلم عنده ولاتقوى . فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس. ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد . ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل بما جعلوه في عنق الوالي ـ هيهات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق بتفرقتها فخانوا ضمن . والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لايجوز قطعه ويقتلون من لايحل قتله . ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بآرائنا .

وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله عز وجل . « ما فرطنا

---

(1) سورة آل عمران آية (١٧٨)

فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ)(١). وقال :(لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ)(٢). فدعى السياسة مدعى الخلل فى الشريعة . وهذا يزاحم الكفر . وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك . وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل . واعتقاده أن هذا جائز كفر وأن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع . والسادس أنه يحسن لهم الانبساط فى الأموال ظانين أنها بحكمهم .

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط فى مال نفسه فكيف بالمستأجر فى حفظ مال غيره . وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط قال ابن عقيل . وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين . قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لأنه تبذير فى بيت مال المسلمين . وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير . والسابع أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصى ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب هذا أن يقال : إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل . وهذا واجب عليهم . وما انبسطوا فيه من المعاصى منهى عنه فلا يرفع هذا ذلك . والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة . ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيراً . وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد . قال : رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلا برزق يطوف على باعة العنب فاذا اشترى أحد سلة عنب خمرى لم يعرض له وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً . قال : وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود فى الطرق حتى لا يفشو العمل بالنجوم . وأدركنا الجندليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٨)

(٢) سورة الرعد آية (٤١)

ولا شعر إلى أن بدى، بحكم العجم . والتاسع أنه يحسن لهم استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما الطريق اقامة البينة على الخائن . وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له : أن قوماً خانوا فى مال الله ولا أقدر على استخلاص ما فى أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب . فكتب اليه : لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم . والعاشر أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب . يريهم أن هذا يمحو ذلك . ويقول . إن درهما من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب . وهذا محال لأن إثم الغصب باق ودرهم الصدقة ان كان من الغصب لم يقبل وان كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً إثم الغصب لأن إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر . والحادى عشر . أنه يحسن لهم مع الإصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم . وهذا الخير لايدفع ذلك الشر . وفى الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك . فقام مالك فمشى معه إلى العشار . فلما رأوه . قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت الينا فى حاجتك قال: حاجتى أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل . قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه . فقالوا : ادع لنا يا أبا يحيى قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم : أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف . والثانى عشر : أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك . وهذا باطل لأنه معين على الظلم وكل معين على المعاصى عاص فان رسول الله ﷺ . لعن فى الخمر عشرة . ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . ومن هذا الفن أن يجبي المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذرفيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً . وفى الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان . قال : سمعت مالك بن دينار يقول . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . والله الهادى إلى الصواب .



الباب الثامن

ذكر تلبيس ابليس على العباد في العبادات .



قال المصنف : إعلم أن الباب الأعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل . فهو يدخل منه على الجهال بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم . وقد قال الربيع بن خثيم . تفقه ثم اعتزل :

فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل . وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح قال مطرف بن عبدالله : فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن أسباط . باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة، وقال المعافى بن عمران : كتابة حديث واحد أحب إلى من صلاة ليلة .

قال المصنف : فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث ﴾

من ذلك . أنه يأمرهم بطول المكث فى الخلاء وذلك يؤذى الكبد وإنما ينبغى أن يكون بمقدار . ومنهم من يقوم فيمشى ويتنحنح ويرفع قدماً ويحط أخرى وعنده أنه يستنقى بهذا وكلما زاد فى هذا نزل البول ـ وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فاذا تهيأ الانسان للبول خرج ما اجتمع فاذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شىء آخر فالرشح لاينقطع وإنما يكفيه أن يحتلب ما فى الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء : ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فان استعمل الأحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار اذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا متبع والله الموفق .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء ﴾

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول. أرفع الحدث . ثم يقول. أستبيح الصلاة ثم يعيد فيقول : أرفع الحدث . وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لايحتاج اليه ثم لامعنى لتكرار اللفظ . ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به . فيقول : من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد . وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال . ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة . الإسراف فى الماء ، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ، والتعاطى على الشريعة اذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل. والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة .

وتلبيس إبليس على هذا : بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة . ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط ، وقد رأينا من ينظر فى هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة قلبته قلب الأمر ، وفى الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ ، فقال . ماهذا السرف ياسعد ، قال. أفى الوضوء سرف، قال . نعم وان كنت على نهر جار ، وفى الحديث عن أبى عن النبى ﷺ ، قال. للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه ، أو قال . فاحذروه ، وعن الحسن رضى الله عنه قال . شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء ، وبإسناد مرفوع إلى أبى نعامه إن عبدالله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك الفردوس وأسألك، فقال عبدالله . سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فانى سمعت النبي ﷺ يقول . سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ، وعن ابن شوذب ، قال . كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول . يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صباً صباً ، ودلكا دلكا، تعذيباً لأنفسهم.

وخلافاً لسنة نبيهم ﷺ ، وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول ، أجلّ محصول عند العقلاء الوقت ، وأقل متعبد به الماء . وقد قال ﷺ ، صبوا على بول الأعرابي ذنوباً من ماء ، وقال في المني أمطه عنك بأذخرة، قال . وفي الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض ، وفي ذيل المرأة يطهره ما بعده ، وقال . يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام . وكان يحمل بنت أبي العاص بن الربيع في الصلاة . ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده . وقال ما أبقيت لنا طهور : وقال . يا صاحب الماء لا تخبره . وقد صافح رسول الله ﷺ الأعراب وركب الحمار معروريا . وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء . وتوضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال الأعراب الذين يأتي أحدهم من البادية كأنه بهيمة ، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول في المسجد كل ذلك لتعليمنا واعلامنا أن الماء على أصل الطهارة ، وتوضأ من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء ، فأما قوله استنزهوا البول فان للتنزه حداً معلوماً وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء ، فأما الاستنثار فانه اذا علق نما وانقطع الوقت بما لا يقضى بمثله الشرع.

قال المصنف : وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءاً كثيراً في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه ، فقال : نمت ليلة فاذا بهاتف يهتف بي يا أسود ما هذا . يحي بن سعيد الانصاري حدثني عن سعيد بن المسيب . قال : اذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء . قال : قلت لا أعود لا أعود ، فأنا اليوم يكفيني كف من ماء .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الأذان ﴾

ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء . ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطا

فيختلط . وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان . وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر . ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة ﴾

من ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها فترى احدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله . ومنهم من يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فى البيت يجزىء ، ومنهم من يدليها فى البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطئتهم وأكسيتهم . ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة ، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه . ولا يظن ظان أنى أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هى التى ننهى عنها . ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلاة فمنهم من يقول أصلى صلاة كذا ثم يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وان لم يرض اللفظ . ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فاذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه . فليت شعرى ما الذى أحضر النية حينئذ وماذاك إلا لأن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة . وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبيسات إبليس . والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات و ما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شىء من هذا . وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد فوسوس اليه إبليس أنك تصلى بغير وضوء فقال ما بلغ نصحك إلى هذا .

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس : إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض .

قال المصنف : وقد حكى لي بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال . إني أغسل العضو وأقول ما غسلته . وأكبر وأقول ما كبرت فقال له ابن عقيل . دع الصلاة فانها ما تجب عليك . فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم قال النبي ﷺ : رفع القلم عن المجنون حتى يفيق . ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة .

قال المصنف : واعلم أن الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لأجل علمه مقبلا عليه بوجهي : — سفه في عقله فان هذا قد تصور في ذهنه منذ رأى العالم . فقيام الانسان إلى الصلاة ليؤدي الفرض أمر يتصور في النفس في حالة واحدة لا يطول زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض . وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية . ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير مالم يفسخها . فما وجه هذا التعب في الصاقها بالتكبير على أنه اذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير . وعن مسور قال : أخرج الي معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه

قال عبد الله: والذى لااله غيره مارأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ ولارأيت بعده أشدخوفا عليهم من أبى بكر. وإنى لاظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفا عليهم.

(فصل) ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط. وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة. فكيف تهمل العبادة وهى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب.

(فصل) ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الامام وقد بقى من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الامام. وهذا تلبيس أيضاً لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة.

قال المصنف: وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا فقال: يابنى إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن

(فصل) وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم. فنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول انما أزاد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد فى الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ماليس فى قلبى. وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين. وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ. أنه قال: لو يعلم الناس مالهم فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا. وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى ﷺ أنه قال. خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنة روى أبو داود فى سننه أن ابن الزبير قال. وضع

اليد على اليد من السنة. وإن ابن مسعود كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى.

قال المصنف. ولا يكبرن عليك انكارنا على من قال. أراد قرب القلوب ولا أضع يداً على يد وان كان من الأكابر. فان الشرع هو المنكر لا نحن. وقد قيل لاحمد ابن حنبل رحمة الله عليه ان ابن المبارك يقول. كذا وكذا. فقال. ان ابن المبارك لم ينزل من السماء. وقيل له قال: ابراهيم بن أدهم. فقال. جئتموني ببنيات الطريق عليكم بالأصل. فلا ينبغي أن يترك الشرع لقول معظم في النفس فان الشرع أعظم والخطأ في التأويل على الناس يجري. ومن الجائز أن تكون الاحاديث لم تبلغه

(فصل) وقد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد. فيخرج باعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة. وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد. وتارة في اخراج ضاد المغضوب. ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وانما المراد تحقيق الحرف فحسب: وابليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوساوس من ابليس. وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه: أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شيء تنفلته. قال: انها الصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت الا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديورات «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ»(1) وفي أفراد مسلم من حديث عثمان بن ابي العاص قال. قلت لرسول الله ﷺ إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي. فقال رسول الله ﷺ. ذاك الشيطان يقال له خنزب. فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً واتفل عن يسارك. ففعلت ذلك فأذهبه الله عني.

(فصل) وقد لبس إبليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأوا أن العبادة هي القيام والقعود فحسب. وهم يدأبون في ذلك ويخلون في بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الامام وقد بقي عليهم من التشهد

---

(1) سورة الحديد آية (٢٧)

الواجب شيء وذلك لا يحمله الامام عنهم. ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة ويتركون المسنون في الصلاة ويرتكبون المكروه فيها. وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لي أنا أطرد النوم عني بالجهر فقلت له إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فان للنفس عليك حقاً. وعن بريدة قال قال رسول الله ﷺ من جهر بالقراءة في النهار فارجموه بالبعر.

(فصل) وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة. أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته. ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له حسين القزويني يمشي كثيراً من النهار في جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لي لئلا ينام. فقلت: هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل. أما الشرع فان النبي ﷺ قال: ان لنفسك عليك حقاً فقم ونم. وكان يقول: عليكم هدياً قصداً فانه من يشاد هذا الدين يغلبه. وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ماهذا قالوا لزينب تصلي فاذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: حلوه. ثم قال: ليصلي أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد. وعن عائشة قالت. قال رسول الله ﷺ. إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فانه اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه.

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وانفرد بالذي قبله البخاري. وأما العقل فان النوم يجدد القوى التي قد كلت بالسهر فمتى دفعه الانسان وقت الحاجة اليه أثر في بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل (فان قال قائل) فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل. فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة. وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم وصح لهم ذلك. ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هي المتبوعة.

(فصل) وقد لبس ابليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك

بالنهار . فربما قال أحدهم فلان المؤذن آذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبها. فأقل مافى هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقل الثواب.

(فصل) وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع اليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح وعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال . إن أفضل صلاة المرء فى بيته الا الصلاة المكتوبة . قال المصنف . أخرجاه فى الصحيحين وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلى وكان لايتنفل فى المسجد وكان يصلى كل يوم الف ركعة . وكان ابن أبى ليلى إذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع.

(فصل) وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء . وعن عاصم قال كان أبو وائل إذا صلى فى بيته نشج نشيجا ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه مافعله. وقد كان أيوب السختيانى . اذا غلبه البكاء قام .

(فصل) وقد لبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون فى اصلاح عيب باطن ولا فى مطعم : والنظر فى ذلك أولى بهم من كثرة التنفل .

{ ذكر تلبيسه عليهم فى قراءة القرآن }

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزاً من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن فى كل يوم أو فى كل ركعة . وهذا يكون نادراً منهم ومن داوم عليه فانه وان كان جائزاً الا أن الترتيل والتثبت أحب إلى العلماء وقد قال رسول الله ﷺ لايفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث .

قال المصنف . وقد لبس ابليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض للرياء . ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد .

قال المصنف . ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلا كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أني قد ختمت الختمة . وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بن خثيم كله سراً فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه . وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدرى متى يختم .

قال المصنف قد سبق ذكر جملة من تلبيس ابليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الصوم ﴾

قال المصنف . وقد لبس على أقوام لحسن لهم الصوم الدائم . وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال ، ان لزوجك عليك حقاً ، فكم من فرض يضيع بهذا النفل . والثاني أنه يفوت الفضيلة فانه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ، أفضل الصلاة صلاة داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً . وبالاسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقيني رسول الله ﷺ ، فقال ، ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل ، وأنت الذى تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار ، قال أحسبه قال ، نعم يا رسول الله قد قلت ذلك . فقال فقم ونم وصم وافطر . وصم من كل شهر ثلاثة أيام ، وذلك مثل صيام الدهر ، قال قلت يا رسول الله إني أطيق أكثر من ذلك قال . فصم يوماً وافطر يومين ، قلت إني أطيق أفضل من ذلك . قال . فصم يوماً وافطر يوماً

وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام . قلت انى أطيق أفضل من دلك ، فقال رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك ، أخرجاه فى الصحيحين . فان قال قائل ، فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم فالجواب ، أنهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة إلى الكسب ، ثم ان فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث ، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهبت عينه ، ومنهم من نشف دماغه ، وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز .

﴿ فصل ﴾ وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفى الرياء ، ولو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدى من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به ، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ، ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك والله أعلم بالمقاصد ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه ، إن العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فاذا دعى إلى طعام ، قال اليوم الخميس ، ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله اليوم الخميس معناه أنى أصوم كل خميس ، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائماً وهم مفطرون ، ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أفطر ، ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة وقد خيل له ابليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التلبيس .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الحج ﴾

قال المصنف . قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضاء الوالدين وهذا خطأ . وربما خرج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج

للتزهة وربما حج بمال فيه شبهة. ومنهم من يحب أن يتلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع فى الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية . وإبليس يريهم صورة الحج فيغرهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان . وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد إلى مكة همته عدد حجاته فيقول لى عشرون وقفة ، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل اليه ممن كان وربما قال أن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً. وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم فى الطريق .

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون اذا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم . وقد لبس إبليس على قوم منهم فابتدعوا فى المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون فى الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك . وفى أفراد البخارى من حديث بن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ . رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه . وفى لفظ آخر . رأى رجلا يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده .

قال المصنف : وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وإن قصدت بذلك الطاعة .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ . قال رجل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد . فقال له أحمد فاخرج فى غير القافلة . قال : لا إلا معهم : قال فعلى جراب الناس توكلت؟ فنسأل الله أن يوفقنا .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الغزاة ﴾

قال المصنف : قد لبس إبليس على خلق كثير خرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات . وعن أبي موسى قال جاء رجل الى النبي ﷺ . فقال : يارسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله . أخرجاه فى الصحيحين . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فان الرجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه . وبالإسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال . أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال: ماعملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل أنت تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . انفرد باخراجه مسلم . وباسناد مرفوع عن أبى حاتم الرازى قال سمعت عبدة بن سليمان يقول . كنا فى سرية مع عبدالله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله . فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فاذا

هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبدالله بن المبارك فقال . وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص . كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه . وقد كان ابراهيم بن أدهم : يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على المجاهد اذا غنم . فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فأما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا . فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والثياب . ثم انطلقنا إلى الوادى ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزلنا قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه . فلما قلنا له هنيئاً له الشهادة يا رسول الله فقال كلا والذى نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس . فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شرا كان من نار .

﴿ فصل ﴾ وقد يكون الغازى عالما بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه . وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل . وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم . روينا باسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبى عبيدة العنبرى . قال : لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض . أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه . ما رأينا مثل هذا قط . ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً فقال :أما والله . لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا . من أنت . فقال والله لا أخبركم لتحمدونى ولا أغريكم لتقرظونى ، ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه ، فاتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس .

﴿ ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ﴾

وهم قسمان عالم وجاهل ، فدخول إبليس على العالم من طريقين

الطريق الأول ، التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل ، روينا باسناد عن أحمد بن أبى الحوارى ، قال سمعت أبا سلمان يقول ، سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة فاستقبلنى الغضب وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله اذا نزل ، قال ، فكرهت أن أقوم إلى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوننى بأبصارهم فيعرض لى تزين فيأمر بى فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت .

والطريق الثانى . الغضب للنفس : وربما كان ابتداء . وربما عرض فى حالة الآمر بالمعروف لأجل ما يلق به المنكر من الاهانة فتصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل ، لولا أنى غضبان لعاقبتك ، وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى .

﴿ فصل ﴾ فأما اذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وإنما كان إفساده فى أمره أكثر من إصلاحه . لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالاجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب . وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه : وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال . اذا كان مغطى فلا تكسره . وقال فى رواية أخرى . إكسره . وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين . وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال . ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش . وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل : إن علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع اليه .

﴿فصل﴾ ومن تلبيس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس فى مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج فى ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن . وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الأوانى وكل هذا يوجبه الجهل . فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان . وقد كان السلف يتلطفون فى الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلا يكلم امرأة . فقال : إن الله يراكما . سترنا الله وإياكما . وكان يمر بقوم يلعبون . فيقول : يا إخوانى ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره . فانتبه رجل منهم فقال : يا قوم إنما يعلمنا هذا فتاب وصحبه .

﴿فصل﴾ وأولى الناس بالتلطف فى الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم : إن الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته . فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى .

﴿فصل﴾ وقد لبس إبليس على بعض المتعبدين فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيرى . وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه . إلا أنه متى أنكر متنزها عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متنزهاً لم يكد يعمل إنكاره فينبغى للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره . قال ابن عقيل رأينا فى زماننا أبا بكر الاقفالى فى أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبى بكر الخباز شيخ صالح أضر من إطلاعه فى التنور وتبعه : وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش .

الفهـــرس


تقدم ..
الإيمان
الدكتور مصطفى محمود




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الايداع ٨٢٤٣/١٩٩٢

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية



الثمن ٣٠٠ قرش

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية